أثر الاسلام على الحضارة الغربية
من خلال الأعمال الفكرية للدكتور عماد الدين خليل

أبو بكر موفق أحمد السبعاوي

The Impact of Islam on Western Civilization Through the intellectual work of Dr. Imad Eddin Khalil

Abu Bakr Muwaffaq Ahmed Al-Saba`awy

The research deals with the influence of Islam and it`s ideas on Western civilization through the writings of the world scientist Dr. Imad Eddin Khalil and touched on the intellectual overlap between the eastern and western society explaining the argument that Islamic law is suitable for all times and places.

L'impact de l'islam sur la civilization occidentale À travers les œuvres intellectuelles de Dr. Emad Al-Din Khalil

Abou Bakr Muwaffak Ahmed Al-Sabawi…

La recherche traite l'influence de l'Islam et ses idées sur la civilisation occidentale à travers les écrits le noble scientifique Dr: Emad Al-Din Khalil, en abordant sur le chevauchement intellectuel entre la société orientale et occidentale, expliquant l'argument selon lequel la loi islamique convient à tous les temps et lieux.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لايُشك مطلقا أن الإسلام وصل إلى الغرب عن طريق أسلاف المسلمين، وكان من طرق مختلفة فتحا وتجارة وصناعة وعلما ومعرفة وغيرها، وبالتالي ستكون هناك على سبيل ردة الفعل من الغرب علماء وقادة أقوال وأفعال وبحوث، وهي كانت مختلفة بين المغلظ والصادق وبين المحقق والناقد وبين المتأثر والحاقد وبين المنصف والمتهور، ومنه نشأ المنظار الغربي للعرب والمسلمين أو الاستشراق، وسنسلط الضوء في هذه الدراسة على أثر الاسلام في الحضارة الغربية، وذلك من خلال منظور المؤرخ والكاتب والمفكر الدكتور المنصف عماد الدين خليل، فله باعه في ذلك كما سنوضحه، ونشير بشكل موجز إلى أهم الفقرات المهمة في ذلك، وللبحث صلة بالواقع لا يمكن إهماله أو تغييره فما يزال الغرب ينشر ويبحث وينقب سواء في الخير والشر على المسلمين، بالتالي يحتاج منا أيضا دراسة فكرهم وفهمهم للدين الاسلامي وما هذا البحث إلا محاولة لبحث ذلك، ومن الله التوفيق .

وقد قسمت البحث هذا إلى مبحثين رئيسين:

المبحث الأول: الإسلام بعيون غربية وتأثير الاعجاز العلمي للإسلام في الغرب.

المبحث الثاني: التأثير الإسلامي في الغرب.

المبحث الاول

الإسلام بعيون غربية وتأثير الاعجاز العلمي للإسلام في الغرب

المطلب الأول

الإسلام في مرآة الغربيين

يلمح المرء في معطيات الغربيين الفكرية ومواقفهم السياسية والإعلامية نبرة العطف والتقدير والإعجاب ببعض جوانب الإسلام والحياة الإسلامية، والحكم على هذه المعطيات والمواقف بالمسطرة والفرجال، واعتبارها جميعا تصدر عن الكيد لهذا الدين وأهله، أو محبته وتقديره!

فهي- اذا أردنا الحق- ليست سواءً، ودوافعها تتحرك عبر زاوية مقدارها مئة وثمانون درجة، فيكون هذا الموقف تقييما وإعجابا، ويكون ذاك كيداً وتوظيفا وانتهازا للفرص لتحقيق مصلحة أو ضرب خصم!

وقد يكون استدعاء آليات الجرح والتعديل هاهنا فرصة طيبة للتأكد من حسن النوايا وسلامة الحكم لأنها تعين على كشف أوراق القائلين ومدى مصداقيتهم .

ومع الجرح والتعديل لا بدّ من إضاءة اللحظة التاريخية التي صدر فيها الحكم، فهي الاخرى يمكن أن تمنحنا معيارا صالحا للعلم والاستنتاج .

فلقد قضى الدكتور عماد الدين خليل ردحاً من الزمن منقباً في بطون الكتابات الغربية، بحثاً عن النص الايجابي بحق الاسلام عقيدة وشريعة وعبادة وحضارة وتاريخا ورجالا ومستقبلا وتعاملا مع المغلوب، فوقع على الكثير من هذه النصوص التي ضمّنها كتابه: (قالوا عن الاسلام) .

لكن هذا كله في الحقيقة- على غزارته وإخلاصه للحق- ليس سوى جانب من الصورة، ويظل هناك الجانب الآخر .

تلك المعطيات والمواقف التي يلمس المرء فيها، بوضوح حينا وبخفاء أحيانا، انعكاسا لرؤية أو مصلحة غربية اعتبر أصحابها أنفسهم أوصياء على العالم وشعوبه وحضاراته.. وأنهم بتقييمهم لهذا الجانب أو ذاك من الاسلام إنما يعتمدون معاييرهم

الوضعية التي يعتقدون أنها مطلقة الصواب سواء في خلفياتها الفكرية أم في قدرتها الذرائعية على تحقيق المصالح والأهداف(١).

فالبعض يرى أن اعتماد عدد من الشهادات الايجابية لهذا المستشرق أو ذاك، عن جانب ما من جوانب الاسلام، يعني في نهاية الأمر تزكية له، وربما تبرئة لأعماله التي تتضمن- في الأعم الاغلب- سيولا من الشهادات السلبية المضادة، تقف نقيضة تماما، ليس للمعطيات الاسلامية فحسب، بل لبداهاتها وقناعاتها المعروفة كذلك.

وهم من أجل تأكيد موقفهم، يعيدون إلى الأذهان عددا من الشواهد؛ التي تدين الفكر الاستشراقي، وتدمغه بالمكر والتجاهل .

وبمقدور المرء أن ينظر الى الاعمال الاستشراقية التي تحمل في طياتها شواهد سيئة على الموقف الغربي من الاسلام، فقد حوت هذه الأعمال الكثير من الأباطيل والأضاليل والترهات المرسومة بخبث وعناية، لكن هذا كله ليس الوجه الوحيد للمسألة فهناك وجه آخر يرتبط بمنهج التعامل إذ لا يمكن أن ننتزع من حلوق المستشرقين شهاداتهم الإيجابية المتناثرة في مؤلفاتهم وهذا اعتراف حر لا يتضمن أي قدر من القسر أو الإكراه بغض النظر عن أهدافها وعن طبيعة ارتباطها بقيمة هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام، أما أعداء الإسلام من الداخل والخارج فلن يضيرهم شيء إن ظلت الكتابات عن الوجه الأسود للإستشراق والفكر الغربي بصورة عامة (٢).

ومن خلال تعاملي مع عدد من النصوص الغربية الحديثة والمعاصرة التي ذكرها الدكتور عماد الدين خليل في كتابه (قالوا عن الاسلام) بدت بوضوح دقة رصد القوم هناك لواقعنا الاسلامي وخلفيته العقدية والتاريخية والحضارية، ومحاولة

---

(١) ينظر: الرؤية الآن في هموم فلسطين والعالم الاسلامي ، د. عماد الدين خليل، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ط١، ٢٠٠١م. ص٦١.

(٢) ينظر: الاسلام والوجه الآخر للفكر الغربي، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١ ، ١٤٣٣ه - ٢٠١٢م ، ٥- ١٠.

توظيف نتائج هذا الرصد في سياقات شتّى سياسية أو اقتصادية أو إستراتيجية أو دينية أو أكاديمية .

ومهما يكن من أمر فإن القوم يرصدوننا جيداً، وهم يوظفون نتائج هذا الرصد لتحقيق مصالحهم القومية بغضّ النظر عن تساوقها أو ارتطامها ليس فقط بمصالحنا، بل بثوابتنا العقدية والتاريخية والثقافية والأخلاقية... ويشكّل هذا الجهد- بجوانبه كافّة- واحدا من أهم عوامل التفوق الغربي واستمرارية هيمنته على مقدرات العالم الإسلامي البشرية والاقتصادية وحتى الثقافية [١] .

ان الصدمة الغربية على عنفها وشراستها وما تتضمنه من بطانة مذهبية وبعد حضاري ، لم تطو الاسلام وعالمه ولم تدفعهما الى الانحناء او الاستسلام ، بل قد نجد ما هو نقيض هذا تماما من إشاعة روح التجدد والانبعاث والصيرورة والقدرة على مواصلة العمل بأكبر قدر من الفاعلية .

فإن مارسيل بوازار[٢] مثلا يشير الى احتمال قيام نهضة مستقبلية في عالم الاسلام تستمد مقوماتها من طابع الرسالة الاسلامية وأثره الحاسم في وجدان المؤمنين ويشير كذلك الى ان نهضة كهذه قد تتضمن اليسر والعسر في آن معا ويعتبر هذه المسألة بديهية يتحتم ان يدركها المسلمون تمام الادراك[٣] .

ويؤكد بوازار ان ليس ثمة امام الدول الاسلامية أي خيار بديل لبناء مستقبلها وان ليس على المفكرين المسلمين ان يعدوا بناءً ايديولوجيا فهذا امر حاصل ، انما عليهم ان يخلصوا الاسلام من ثقل التقاليد المتراكمة، ويعودوا الى تحرير العقل

---

(١) الرؤية الآن في هموم فلسطين والعالم الاسلامي ، د. عماد الدين خليل، ٥٤- ٥٥.

(٢) مفكر وقانوني فرنسي معاصر. اولى اهتماما لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الانسان، وكتب عددا من الابحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين، من اشهر مؤلفاته: (انسانية الاسلام). ينظر: قالوا عن الاسلام، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير – دمشق، ط١، ٢٠١٠م، ٤٨.

(٣) ينظر: انسانية الاسلام، مارسيل بوازار، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت- ١٩٨٠، ٧٤؛ نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، د. عماد الدين خليل، ١٠٥- ١٠٦.

وثورة الفكر الحر وتوطيد الانسان، ويمنحوا المستقبل الاسلامي ثقة مطمئنة وحافزا قويا في وقت معا، فهذا رهن بما يصنعه المسلمون انفسهم[١] وهذا حق فلن يكون هناك مستقبل اسلامي رغم كل ما يعد به كتاب الله سبحانه واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم الا بان تنضاف ارادة المسلمين انفسهم الى وعود الله ورسوله.

إن ما فعله الأسلاف يمكن أن يفعله الأحفاد ، كما يؤكد جورج سارتون[٢]، وبذلك يستعيدون، ثانية مكانتهم في قيادة العالم، ومهمة كهذه ليست امرا سهلا بل لعلها تزداد صعوبة يوما بعد يوم لكن الامر في نهاية التحليل ليس مستحيلا بل انه ممكن إذا توحدت الرؤى وتظافرت الجهود لتحقيق ذلك[٣] .

وتسمي لورا فاغليري[٤] جمود المسلمين مرضا زائلا وهي تلحظه يزول بالفعل لان المسلمين يجدون انفسهم تارة بعد اخرى مضطرين وسط ضياعهم وضياع العالم الى العودة الى كتابهم العزيز الذي لم يحرفه قط لا اصدقاؤه ولا اعداؤه ذلك الكتاب الذي لا يبليه الزمان الى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع

(١) ينظر: انسانية الاسلام، ٣٨٥؛ نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١٠٧- ١٠٨.

(٢) جورج سارتون، (١٨٨٤- ١٩٥٦م)، عالم امريكي، يعتبر احد اعظم مؤرخي العلم في عصره، أهم آثاره: خلّف اكثر من خمسمائة بحث، خيرها واجمعها (المدخل الى تاريخ العلم). ينظر: معجم اعلام المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٩٢م، ٢٢٩ ؛ قالوا عن الاسلام، ٦٠.

(٣) ينظر: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط، جورج سارتون، تعريب د. عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٥٢، ص٦٩؛ نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١١٠.

(٤) د. لورا فيشيا فاغليري، (١٨٩٣- ١٩٨٩م)، باحثة ايطالية معاصرة، انصرفت الى التاريخ الاسلامي قديما وحديثا، والى فقه العربية، من آثارها: (قواعد العربية) و(دفاع عن الاسلام). ينظر: قالوا عن الاسلام، ٦٦.

المسلمون حتى اذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب وثمة بينات قوية على ان هذه العملية قد بدأت فعلا [١]

ويؤكد كامبغماير[٢] ما ذهبت اليه لورا فيقول: ((استطيع ان اؤكد ان البلاد الناطقة بالضاد ستلعب دورا غاية في الاهمية وربما كان دورا حاسما ونهضة الاسلام في هذه البلاد امر واقع لا سبيل الى رده ولن يقوى احد على ايقافها))[٣] .

وفي كتاب (وعود الاسلام) لروجيه غارودي[٤] نلحظ شهادة لما نحن بصدده من الانبعاث، والصيرورة، والقدرة المدهشة على المشاركة في صياغة الزمن الاتي، ونحن كمسلمين نعرف هذا جيدا لكن ان تجيء الشهادة على يد مفكر كان الى وقت قريب خارج دائرة الاسلام وله خبرة في المذاهب والأديان وكان بموقع متقدم في الساحة الماركسية فشهادته تستحق الاهتمام، فهو يلحظ منذ البدء ان الوعي

---

(١) ينظر: دفاع عن الاسلام: لورا فاكليري، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٦م. ص ١٣٣ – ١٣٤؛ نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١١٠– ١١١.

(٢) د.ج. كامبغماير، (١٨٦٤– ١٩٦٣م)، تخرج باللغات الشرقية في ليزبغ، وتخصص في الاسلام الحديث والعربية المعاصرة، من آثاره: (النصوص والاعمال في تاريخ الامة العربية الحديث) و(دراسات في الادب العربي المعاصر). ينظر: قالوا عن الاسلام، ٤٠٥.

(٣) وجهة الاسلام: كب وآخرون، ترجمة محمد عبد الهادي، المطبعة الاسلامية، القاهرة، ١٩٣٤م. ٩٩ – ١٠٠؛ وينظر: نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١١٢.

(٤) روجيه كارودي، (١٩١٣– ٢٠١٢م)، فيلسوف وكاتب فرنسي، واحد كبار زعماء الحزب الشيوعي الفرنسي، سابقا، تتميز ثقافته بالعمق والشمولية،اتيح له منذ مطلع الاربعينيات ان يحتك بالفكر الاسلامي والحياة الاسلامية، حتى انتهى به الامر الى فصله من الحزب الشيوعي الفرنسي، كما قاده في نهاية الامر الى اعتناق الاسلام، وذلك عام (١٩٨٢م)، وسمي ب(رجاء كارودي).من اشهر مؤلفاته: (حوار الحضارات) و(منعطف الاشتراكية الكبير) و(البديل) و(وعود الاسلام) و(الاسلام دين المستقبل). ينظر: قالوا عن الاسلام، ١٨٤– ١٨٥. علماء ومشاهير اسلموا، نايف منير فارس، مكتبة ابن كثير– دار ابن حزم، الكويت –بيروت، ٢٠١٠ م، ١٢٥. حوارات مع مسلمين أوروبيين، د. عبد الله الاهدل، دار القلم– الدار الشامية، دمشق– بيروت، ١٩٩٠م. ١٩٥– ٢١٤.

الاسلامي ليس مسألة اكاديمية لأغراض الدراسة والتحليل النظري وليس ايضا حلما نتلذذ به لما يمكن ان يقدمه للمستقبل انما هو فعل ملتزم يكافح ويبدع من اجل المستقبل .

إنّ هذا الوعي ليس قط من تخصص مؤرخ او تلذذ حالم ولكنه مهمة عامل ملتزم، مناضل ومبدع للمستقبل، فهو فعل متواصل يستهدي ببرنامج عمل مرسوم، ويكافح من اجل مستقبل اكثر عطاءً وابداعا فهو – أي الاسلام – يحمل بذور تغيير جذري على مستوى الانسانية، وبالتالي فان بعثه هو بعث للإنسانية بأكملها مادام انه في ماضيه ساهم في تشكيل فترة مجيدة مشرقة في الملحمة البشرية، باختصار، فان المسألة ليست مسألة الاسلام وحده انها قضية مستقبلنا، قضية مستقبل جميع البشر[١].

ولعل من ابدع ما تحدث به الغربيون عن حاضر الاسلام ومستقبله قول دوكلاس آرشر[٢] من انه ((لو أحسن عرض الاسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات، ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون في ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء فقد فشل هذان النظامان في حل مشكلات الانسان اما الاسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء ، والامل والهدى للحيارى والضالين وهكذا فالإسلام لديه اعظم الامكانات لتحدي هذا العالم وتعبئة طاقات الانسان لتحقيق أعلى مستوى من الانتاج والكفاية))[٣].

---

(١) ينظر: وعود الاسلام: روجيه كارودي، ترجمة ذوقان قرقوط، الوطن العربي، القاهرة، بيروت– ١٩٨٤م. ٢٢و ١٥٦و ١٧٩و ١٨٧. نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١١٥– ١١٧.

(٢) د. دوغلاس أرشر، (عبد الله آرشر)، شاب من جامايكا، جنوب جزيرة كوبا، في منتصف العقد الخامس من العمر، يعمل مديرا للمعهد التربوي في منطقة الكاريبي، جامايكا، كان بروتستانتيا، وبعد ان انتمى للإسلام قدم استقالته من عمله كأستاذ لعلم النفس في الولايات المتحدة الامريكية، حيث تخصص هناك، وعاد الى بلاده لكي يسهم في دعوة ابناء وطنه الى الاسلام، ينظر: قالوا عن الاسلام، ١٢٩. لم أسلم هؤلاء الأجانب، محمد عثمان عثمان، دار الرضوان– حلب، ٥٥.

(٣) رجال ونساء اسلموا، عرفات العشي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٩٧٣م. ٥٧/٥. وينظر: نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١١٩.

وعند تدقيق النظر في كلامه نقف على ثلاث من ميزات الاسلام الاساسية وهي الميزات التي يفتقدها العالم الحديث والتي يمكن ان تمارس دورها في مستقبله: الشمولية، والوسطية، والقدرة على الاستجابة للتحديات.

ويشير فايس[١] في كتابه (الطريق الى مكة) الى اننا نحن المحدثين بحاجة الى تلك الرسالة بأكثر مما احتاج اليها الناس في ايام محمد صلى الله عليه وسلم حيث انهم كانوا يعيشون في بيئة ابسط كثيرا من بيئتنا نحن ، وكانت مشاكلهم ومصاعبهم اسهل حلا وايسر الى حد كبير[٢].

وتؤكد جميلة قرار[٣]، التي اعتنقت الاسلام هي الاخرى ((ان الاسلام بصفته دينا عالميا، وعقيدة كونية، يعتبر مناسبا لكافة مراحل تطور الحياة الانسانية في المستقبل، فهو ينسجم مع منجزات الانسان الحديثة في كافة مجالات النشاط الانســـاني)) [٤] .

---

(١) ليوبولد فايس، (محمد أسد)، (١٩٠٠- ١٩٩٢م)، مفكر وصحفي نمساوي، ولد في اقليم غاليسيا في بولندا، سافر الى(القدس) حيث تعرف على الحركة الصهيونية ورفضها، بدأت من هناك رحلة عشقه الاسلام وعالمه كزائر وصحافي، وانتهت باعتناقه الاسلام بالجزيرة العربية عام (١٩٢٦م)، حيث دون هذه الرحلة الطويلة وملحمة تفاعل عقله مع الاسلام، تاريخه، عقائده، حاضره، مستقبله، ومشكلات اهله، حيث سجل كل هذه الوقائع في كتابه: (الطريق الى مكة)، من أبرز مؤلفاته: (الاسلام على مفترق الطرق) و(مبادئ الدولة في الاسلام) و(الطريق الى مكة) و(أصول الفقه الاسلامي).ينظر:تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم- بيروت، ١٩٩٧م ، ٤٤٩- ٤٥٠. قالوا عن الاسلام، ٦٨. رجال ونساء أسلموا، د.عرفات كامل العشي، المكتب المصري الحديث- القاهرة- الاسكندرية، ٢٠٠١م. ١٥٧/٢- ١٦٠. علماء ومشاهير أسلموا، ١٣٣- ١٧٧.

(٢) ينظر: الطريق الى مكة، ليوبولد فايس، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٥٦م. ٣٢٣ – ٣٢٤ ؛ نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١٢٣.

(٣) جميلة قرار، ولدت في النمسا، عام (١٩٤٩م)، لأبوين ملحدين، وحاولت ان تكون مسيحية الا ان النصرانية لم تستطع اقناعها، حيث سمعت وقرأت عن الاسلام، فما لبثت ان اعتنقته وهي في العشرين من عمرها. ينظر: رجال ونساء أسلموا، ٣٥٤/٣- ٣٥٧ ؛ قالوا عن الاسلام، ١٨١.

(٤) رجال ونساء اسلموا ، ٤/ ١٠٨ ؛ ينظر: نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١٢٦.

وأختم هذا المطلب بمسك حمله كارودي بشهادته عن الاسلام التي تتضمن قاعدة الدور الاسلامي المنتظر ومنطلقه بل مفتاح عقيدته ورؤيته للعالم ونزوعه الانقلابي وقدرته المعجزة على التماس مع الحياة واعادة صياغتها بما يضعها في اطارها الحق ويمنحها الهدف والمغزى تماما كما فعل لحظة اطلالته على العالم زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما هو قادر على ان يفعله في كل زمن: ((..(لا اله الا الله) هذا الاثبات الاساسي للإيمان الاسلامي، فهي اول ما تعني اعلان الحرب على الوثنية واقصاءها، ليست وثنية قريش وحدها ولكنها وثنية العالم كله وثنية العالم المعاصر على وجه التحديد فها هنا حيث تأخذ برقاب الانسان وتفصله عن ارتباطاته بالكون وبمصيره، يغدو شعار (لا اله الا الله) بكل جذريته ، وقدرته الانقلابية على التغيير، وحربه التي لا هوادة فيها للوثنية بكل صيغها ورموزها واشكالها وطقوسها، ضرورة المصير البشري وحتميته فها هي ذي الصنمية، تفرخ وتتكاثر في مجتمعاتنا: صنم النمو، صنم التقدم، صنم التقنية العلموي، صنم الفردانية وصنم الامة، صنم قوة الاسلحة والجيوش بمحذوراتها جميعا ومحرماتها وبرموزها المقدسة وبطقوسها كلا !! يذكرنا الاسلام، (لا اله الا الله)، الله اكبر وإننا لنعرف بالتأكيد ما لهذا اليقين في العقيدة من قوة هدم وتحرير دفعت الجيوش الى التراجع، في حين ان عقيدتنا منذ زمن طويل، لم تعد تدفع على التراجع شيئا ذا بال.. فالحوار، هكذا مع الإسلام يمكنه ان يساعدنا على ابتعاث خميرة عقيدتنا الحية فينا، تلك التي تستطيع نقل الجبال من مواضعها.. حقاً، إن الإسلام يحمل بذور تغيير جذري على مستوى الإنسانية))[1].

(١) وعود الاسلام، روجيه كارودي، ترجمة: ذوقان قرقوط، الوطن العربي- القاهرة، بيروت، ١٩٨٤م. ٢١٧- ٢١٨. وينظر: نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، ١٣٧- ١٣٨. وللوقوف حول الكلام الذي تحدث به كارودي عن شعار (لا اله الا الله) ينظر المراجع التالية للدكتور عماد الدين خليل: (الرؤية الان في هموم فلسطين والعالم الاسلامي: ١٣٧ و١٧٨)، و(ريبورتاج حوار في الهموم الاسلامية: ١٤٣- ١٤٤و ٢١٢)، و(اولى ملاحم القرن، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة – بيروت، ٢٠٠٢م، ٩٠ و ١٢٢)؛ مذكرات حول واقعة الحادي عشر من ايلول (سبتمبر): د. عماد الدين خليل، دار الفكر، بيروت- دمشق، ط١- ٢٠٠٣م ، ١٠٣- ١٠٤ .

المطلب الثاني

الاعجاز العلمي في الاسلام وتأثيره في الغرب

الفكر الانساني هو نتاج تجارب الاجيال السابقة التي وصلت إلينا عن طريق القراءة أو السماع، ويتعزز بإضافة تجارب الاجيال الحاضرة إليه وبالحوار المولد للعمل الجماعي، ولكن هذا لا يعني أن العقل هو المصدر الوحيد للوصول الى الحقيقة وإلا نكون قد حصرنا المعرفة الانسانية بالمحسوسات، بل هناك طريق آخر هو الوحي الالهي المتمثل بالرسالات السماوية، فهي التي أطلعتنا على الغيبيات التي عجز العقل عن الوصول إليها وحده، فأجابت على أسئلة حيرت الانسان منذ القدم وهي : ما أصل الانسان؟ وهل الانسان كائن عاقل وحيد في الكون، أم أن هناك إلها أزليا كامل الصفات أوجده؟ وما صفات هذا الخالق العظيم؟ وما الطريق لإرضائه أو إسخاطه؟ ولماذا تنتهي حياة الانسان؟ وهل هناك حياة بعد الموت أم لا؟ وهل للكون نهاية ومتى؟... أسئلة تقع اجاباتها في عالم الغيب، لهذا حيرت الانسان وتعددت تفسيرات الأديان الوثنية في الاجابة، أما الأديان السماوية فقد اتفقت إجاباتها لاتفاق السراج الذي صدرت منه وهو الله جل في علاه(١).

ولو نظرنا الى هذا الكون العظيم متأملين فيه، فإننا سنصل الى قناعة تامة بأن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه، وخلق العوالم، وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية، وهو تلازم شيئين وجودا وعدما، أحدهما قبل الآخر، فنسمي الأول سببا، ونسمي الثاني نتيجة، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدأ السببية، أي إن العقل لا يفهم حدثا من دون سبب، ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون، وذلك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله مسبب الأسباب، فالأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟.

(١) ينظر: مدارات الفكر الانساني، يسار محمد الدرزي، مكتب الفتى – الموصل، ٢٠٠٩م، ٩.

ومن رحمة الله بنا أيضا أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب لأخذ الكون طابع الفوضى والعبثية، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة، ولم ينتفع بعقله، لكن من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج، ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك، لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع في الشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية الأسباب التي اعتمد عليها، فيفاجأ بنتائج غير متوقعة، ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلا – في زعمه – على الله فقد عصى، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم به الكون، ولأنه طمع- بغير حق- أن يخرق الله له هذه السنن، أما المؤمن الصادق فيأخذ بالأسباب دون أن يعتقد أنها تصنع النتائج، وبالتالي دون أن يعتمد عليها، يأخذ بها، وكأنها كل شيء، ويعتمد على الله سبحانه وتعالى[1]، وكأنها ليست بشيء، معتقداً أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله، وهذا هو التوحيد الإيجابي الذي يغيب عن كثير من المؤمنين، فضلا عن غير المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦ .

لكن هذا النظام نظام السببية يخرق أحيانا... متى وكيف؟

حينما يأتي إنسان ويقول: إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهج الله فلا بد من أن يطالبه الناس ببرهان على أنه رسول الله، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهانا على صدق إرسال النبي، ومصداقية منهجه[2] .

وقد جعل سبحانه وتعالى لكل نبي آيتين:

إحداهما: عقلية، يدركها أولو البصائر.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي – سورية، ط٢ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م . ٢/١.

(٢) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي ، ١ / ٢.

والثانية: حسية، يدركها أولو الأبصار..[١]

فالآية العقلية تستند الى مبدأ السببية وهي أن لكل نتيجة سبب، وأن لكل آلة صانع، فمن خلق الخلق؟ ومن يدبر الأمر في السموات والأرض؟ إنه لا شك إله عليم قدير، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار.. بالإضافة إلى سيرة الأنبياء الحميدة في أقوامهم وأخلاقهم العطرة، فهم رمز الصدق والأمانة والوفاء، فلا يعقل أن يذروا الكذب على الناس ليكذبوا على الله، فيدعون أنهم مرسلون منه وهم ليسوا كذلك...

والآية الحسية هي المعجزات التي تخرق أعراف البشر ونواميس الكون،على يد أنبياء الله، تأييدا لدعواهم بأنهم مرسلون من خالق الكون المتحكم به .

والمعجزة لغة: مبالغة من عجز وهو بمعنى الضعف وعدم القدرة على فعل الشيء[٢] وفي الاصطلاح: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة[٣].

إذن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي، فالله سبحانه بعث سيدنا موسى الى قوم اشتهروا بالسحر، فأعجزهم بانقلاب عصاه الى ثعبان وبإخراج يده فإذا هي بيضاء للناظرين، وبفلق البحر وإغراق فرعون وغيرها من المعجزات.. وارسل سيدنا المسيح الى قوم نبغوا بالطب، فأعجزهم بإذنه تعالى عندما أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص بإذن الله، وانتهت تلك المعجزات الحسية بموت سيدنا موسى وبرفع سيدنا عيسى، ولم يبق لها أثر في عصرنا الحديث.

وأرسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قوم عرفوا بالبلاغة والفصاحة فأعجزهم عن أن يأتوا بسورة واحدة من القرآن الكريم قال

---

(١) ينظر: الجوهرة في قواعد العقائد، الشيخ طاهر الجزائري، دار القلم – دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ٨١.

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، ٣ / ٨٨٣.

(٣) ينظر: الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد سعيد شهوان بحث منشور في المجلة الاردنية في الدراسات الاسلامية، المجلد الثالث، العدد (٢)، ٢٠٠٧م، ١٢٠.

تعـــــــالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: ٣٨.. ولما كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم خـــاتم الانبيـــاء والمرسلين، فإنه جاء لهداية البشرية جمعاء، وهذا ما يفسر لنا اشتمال القرآن الكريم على معجزات بلاغية وغيبية وطبية وكونية، أخذ العلم الحديث يكشف عنها يومـــا بعد آخر، وفي ذلك دليل على ديمومة الاعجاز القرآني على مر العصور والاجيال، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه حتى تقوم الساعة وهو معجزة الاسلام العظمى، الذي لازال اعجازه حاضرا بشهادة علماء الغرب الذين أسلم الكثير منهم بعد ما تبين لهم أنه كتاب منزل من لدن عليم خبير بوحي إلهي مبين.

وينبغي أن نتنبه الى أن هناك تباين بين مفهوم الوحي عند المسلمين وبين مـــا يعنيه بعض الكتاب الغربيين في كتاباتهم، حيث يشير الاستاذ يسارمحمد[1] الى ذلك بقوله: ((فمازال بعض المفكرين الغربيين يعتقدون أو يفهمون الوحي على أنه إلهام يحدث لأصحاب النفوس الصافية نتيجة للعزلة والتأمل في الكون، ولـــيس رســـالة سماوية من إله قدير سميع بصير... فالوحي كان ملكا نزل من الســـماء بـــأمـــــر خالق الكون، وليس إلهاما داخليا أو علما مكتسبا بالرياضـــة الروحيـــة او البحـــث العلمي كما اعتقد ذلك بعض علماء الغرب..))[1].

إذن الوحي الالهي هو مصدر الحقائق العظمى التي لا يحدها مكان ولا يبليهـــا زمان ، وفي ذلك تجل واضح على قدرة الله العظيم المنان ، وللدكتور عماد الـــدين خليل رؤية موضوعية حول آثار وتأثير الإعجاز القرآني وعلاقته بـــالعلم الحـــديث خاصة في قضية الخلق الكوني العظيم، بدءًا وصيرورةً وانتهاءً. فيقول: ((في البدء

(١) يسار محمد الدرزي، كاتب وصحفي، ولد في الموصل سنة ١٩٧٤م، وحصل على شهادة البكالوريوس في هندسة الكهرباء من جامعة الموصل سنة١٩٩٨م، شغل منصب سكرتير تحرير جريدة فتى العراق ٢٠٠٤م، ومدير الاعلام والعلاقات في شركة الكندي العامة التابعة لوزارة الصناعة والمعادن ٢٠١٠م ، من مؤلفاته: نظرات في روح العصر، مدارات الفكر الانساني. أنظر: (أحمد سامي الجلبي وجريدة فتى العراق، فواز أنور محمد الشيخ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب جامعة الموصل، ٢٠١١م، ص١٧١).

(١) مدارات الفكر الانساني، يسار محمد الدرزي، مكتب الفتى – الموصل، ٢٠٠٩م. ١١– ١٢.

شاءت ارادة الله جلّ وعلا أن يخلق الكون، وهو يحدثنا في كتابه الكريم عن لحظات الخلق في أكثر من موضع، ونختار منها هاتين الآيتين: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ فصلت: ١١ - ١٢، وفي آية أخرى يحدثنا عن الاتساع الكوني المستمر.. عن صيرورته الماضية الى الامتداد: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الذاريات: ٤٧ .

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٤ ، وكثيرة هي النظريات والقوانين العلمية التي جاءت لكي تؤكد، وتوضح، بمنطوقها الخاص ما قال به القرآن الكريم.. عن بدء الخلق، وعن اتساع الكون، ثم عن انكماشه وطيّه في نهاية الطريق الطويل، ذي الملايين الهائلة من السنين الضوئية.

وسواء تغيرت تلك المعطيات العلمية، كما عودتنا، أو بقيت على حالها، فإن ما يقدمه القرآن الكريم بإيجازه المعجز يكفي لكي يغطي حاجة السايكولوجية[١] البشرية: ذهنا وروحا ووجدانا، وتطلعاتها حول المنشأ والصيرورة والمصير))[٢] .

ويشير الدكتور عماد الدين خليل الى التوافق والتطابق التام بين كتاب الله المسطور (القرآن الكريم) وكتاب الله المنظور (الكون) ، حيث إنه: ((يوما بعد يوم تتكشف الحقائق، أكثر فأكثر، عما ينطوي عليه القرآن الكريم والسنّة النبوية من معطيات تتوافق- ابتداء- مع نتائج الجهد العلمي في سياقاته كافّة، وليس ثمة غرابة في هذا على الاطلاق، فإن الكتاب المسطور الذي تنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم بعِلم الله سبحانه، وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وأفعاله التي جاءت

(١) هي علم النفس البشرية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، ٢١٢. وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. احمد مختار عمر، (ت: ٢٠٠٣ م) عالم الكتب- القاهرة، ٢٠٠٨ م، ١١٥٠/٢.

(٢) مؤشرات اسلامية في زمن السرعة، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ٧٢- ٧٣.

لتشرح وتوضح وتضيف على ما أوجز فيه الكتاب المسطور أو تجاوز ذكره.. هذا كله، أريد له أن يكون في حالة توافق وتطابق مع معطيات الكتاب المنظور في الأنفس والآفاق وعبر طبقاتهما ومفرداتهما كافّة، فالكتابان من خلق الله سبحانه الذي شاءت إرادته (جلّ جلاله) أن يكون النشاط المعرفي عامّة، والعلمي بوجه الخصوص، الجسر الذي يصل بين الكتابين!))[1].

فحيثما دققنا النظر في رحاب الكون الكبير.. تحت سماء الله الواسعة.. عبر أغوار النفس البشرية.. في مسارب الأرض والجبال والشلالات والانهار... وقفنا على حقيقة مدهشة، او كشفا علميا، يزيدنا ايمانا على إيماننا، ونتذكر وعد القرآن المؤكد بالتكشّف المتواصل لآيات الله في الأنفس والآفاق، وكيف ان مرور الزمن كفيل بتأويل ما لم يحط به الأولون علما فكذبوا به. قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣ ، وقوله سبحانه ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ يونس: ٣٩، فثمة الخلق من العدم ابتداء: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ الكهف: ١٠٩، وثمة الإبداع والإتقان في الموجودات.. أشياء جامدة كانت أم حيوات، ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إبراهيم: ٣٤، وثمة الإمساك المدهش والتحكم المعجز بالنسب والعلائق بين الأشياء والموجودات، وسوقها الى مصائرها بتوافق عجيب حيث لا فوضى ولا تناقض ولا ارتطام: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يس: ٣٨ - ٤٠، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) متابعات اسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة، د. عماد الدين خليل، دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٢م، ٢٠١.

وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ فاطر: ٤١ .

وثمة الإرهاصات والكشوف القرآنية عن منظومة الحقائق العلمية والمعرفية التي لم يكن بمقدور الجيل المتلقي يومها ان يعرف عنها شيئا، فضلا عن إزاحة النقاب عن أسرارها.

والمؤمن الحق يجد نفسه دائما قبالة كتابين كبيرين: كتاب الكون المنظور، وكتاب الله المقروء، وهو في الحالين يتعامل مع مقدرات الخلق الالهي في حشود من المعطيات لا نفاد لها، فيوما بعد يوم يتكشف كتاب الكون الكبير- بقوة العلم- عن جملة من الحقائق المذهلة في تركيبه ومساره، ويوما بعد يوم يتكشف كتاب الله المعجز عن عجائب لا تنقضي، كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومنذ عقود عديدة اخذت المكتبة الاسلامية وغير الاسلامية، تشهد سيلا من البحوث والدراسات التي استهدفت البحث في العلاقة المؤكدة بين العلم والايمان، بعض هذه البحوث من مثل: (مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم) للدكتور عماد الدين خليل، و(العلم يدعو للايمان) لكريسي موريسون و (الله يتجلى في عصر العلم) لثلاثين عالما متخصصا، تعاملت مع إبداع الله سبحانه في خلقه، وإتقان الصنعة في هذا الخلق الذي لا يقدر عليه سوى الله جلت قدرته، والذي يقود بالضرورة إليه سبحانه.

وبحوث أخرى من مثل تلك التي أنجزها باحثون من داخل الجغرافيا الإسلامية (كعبد الرزاق نوفل)[1] و(مصطفى محمود)[2]

---

(١) عبد الرزاق نوفل، (١٩١٧- ١٩٨٤م)، كاتب ومفكر واديب إسلامي، ولد في حي عابدين في القاهرة، حصل على بكالوريوس الزراعة سنة (١٩٣٩م)، وشهادة الدراسات الاستراتيجية القومية من الأكاديمية العسكرية العليا عام (١٩٦٧م)، وكانت له مساهمات فكرية ودعوية إسلامية، من ابرز مؤلفاته: (الله والعلم الحديث) و(القران والعلم الحديث) و(السنة والعلم الحديث) و(المسلمون والعلم الحديث). ينظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم- بيروت، ١٩٩٧م، ١ / ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) مصطفى كمال محمود حسين، (١٩٢١- ٢٠٠٩م)، فيلسوف وطبيب وكاتب مصري، ولد في قرية شبين الكوم بالمنوفية في مصر، قدم الدكتور مصطفى (٤٠٠) حلقة من برنامجه=

و(وحيد الدين خان)[١] و (الزنداني) [٢] و(النجار) [٣] وغيرهم كثيرون، مضت لكي تكشف النقاب عن الحقائق العلمية التي انطوى عليها القرآن الكريم والتي جاءت كشوف القرنين الاخيرين لكي تؤكدها او تزيح عنها النقاب، وصدق الله العظيم

=التلفزيوني الشهير (العلم والايمان)، من أبرز أعماله: (الاسلام في خندق) و(حوار مع صديقي الملحد) و(لغز الموت). ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، ٤١٣/١. و www.wikipedia.org.

(١) وحيد الدين خان، فيلسوف ومفكر هندي، ولد في مدينة أعظم كراه شرقي الهند عام (١٩٢٥م)، وتلقى تعليمه هناك في إحدى المدارس الإسلامية، أتقن الانجليزية، وقرأ في كتب الشيوعية أكثر من عشرة آلاف صفحة، فأقدم على التأليف في نقدها ونقضها، أسهم في العديد من المؤتمرات الدولية، وقدم فيها كثيرا من البحوث، تولى رئاسة التحرير لجريدة الجمعية الأسبوعية في (دلهي)، لمدة سبع سنوات، واصدر بعدها مجلته الشهرية (الرسالة) وتعتبر من أوسع المجلات الإسلامية انتشارا في الهند، كما قام بإنشاء (المركز الإسلامي للبحوث والدعوة) في عاصمة الهند- دلهي، عام (١٩٧٠م)، من ابرز مؤلفاته: (الإسلام يتحدى) و(الدين في مواجهة العلم) و(حكمة الدين). ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، ٣١٧/٣- ٣٢٦.

(٢) عبد المجيد عزيز الزنداني، سياسي وداعية يمني، ولد في محافظة(اب) احدى محافظات اليمن سنة (١٩٤٢م)، وهو المؤسس لجامعة الايمان باليمن، ومؤسس الهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة في مكة المكرمة، ورئيس مجلس شورى حزب التجمع اليمني للاصلاح، وأحد كبار مؤسسي جماعة الاخوان المسلمين في اليمن، من ابرز مؤلفاته: (علم الايمان) و(طريق الايمان) و(التوحيد). المصدر: www.wikipedia.org.

(٣) زغلول راغب محمد النجار، باحث جيولوجيا مصري، ورئيس لجنة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة، ولد في محافظة الغربية في مصر، حصل على الدكتوراه في علوم الارض من جامعة ويلز ببريطانيا سنة (١٩٦٣م)، وحصل على الاستاذية سنة (١٩٧٢م)، من ابرز اعماله: (الارض في القرآن الكريم) و(السماء في القرآن الكريم) و(الحيوان في القرآن الكريم). المصدر: الموقع الرسمي للدكتور النجار، www.elnaggarzr.com و www.wikipedia.org.

القائل في محكم كتابه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣ (١) .

إذن اليقين المطلق هو ما يقوله القرآن.. كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. وتبقى معطيات العلم قابلة للتغيّر والتقلب، جزئية ونسبية.. وتبقى الحقيقة النهائية أكبر بكثير من معطيات العلم.. وتبقى كلمات الله سبحانه محيطة بهذا وذاك.. وما أكثر محاولات التشكيك التي حاولت الطعن بكتاب الله وبشرعه الحنيف، ومحاولاتهم لإعمال العقل في أمور تفوقه إدراكاً وتصوراً وهم يدّعون بأنهم يستندون الى جهود العلماء وهم ليسوا بعلماء، وذهبت المحاولات بدداً وبقيت كلمات الله! (٢) .

المبحث الثاني

التأثير الإسلامي في الغرب

إن ما وصلت اليه المدنية الغربية من تطور تقني وعلمي في شتى مجالات المعرفة ليس وليد عدة عقود من الزمن ، بل إنها ثمرة مسيرة امتدت لقرون عديدة بدء من العصور المظلمة الى عصر الإصلاح الفكري والسياسي الذي انبثق عقب الثورة الفرنسية ١٧٨٩م (٣)، إنه مخاض عسير هدرت فيه أموال وأرواح ومقدرات أدت الى ولادة ثورة فكرية أحدثتها نخبة من مفكري الغرب الذين انبثقوا من عالمهم الذي يعيشونه وتأثروا بالعوالم التي يعاصرونها، فقد تأثر مفكرو الغرب بثقافات

(١) ينظر: متابعات اسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة: د. عماد الدين خليل، ١٥٣- ١٥٧.

(٢) ينظر: الرؤية الآن في هموم فلسطين والعالم الاسلامي ، د. عماد الدين خليل، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص ٦٠.

(٣) انقلاب سياسي وثورة شعبية بدأت في فرنسا سنة (١٧٨٩م) وانتهت سنة (١٧٩٩م)، حيث اثرت اثرا كبيرا على العالم كله، واختلف المؤرخون كثيرا في سبب قيامها. ينظر: موسوعة السياسة، د. عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٧٤ م ، ٩١٣.

الشرق وأديانه، نلمس ذلك من خلال الاقتباسات والإشارات والاستشهادات التي تخللت كتبهم، وقد كان الإسلام من أكثر الأديان تأثيراً على فكر خيرة عباقرة الغرب ومفكريه، من أمثال (جوته) [١] و(كارليل)[٢] و(برنارد شو)[٣] و(توينبي)[٤] و(ديورانت)[٥] و(غارودي) وغيرهم.

ولدراسة التأثير الاسلامي على الغرب، نحتاج الى تسليط الضوء على ثلاثة محاور مهمة، تبين معالم هذا التأثير وعمقه في بنية الفكر الغربي، وهذه المحاور هي:

---

(١) يوهان فولفغانغ غوته، (١٧٤٩- ١٨٣٢م)، كبير شعراء الالمان واحد عمالقة الادب العالمي، ولد بمدينة فرانكفورت بألمانيا، حيث درس المحاماة وتخرج من كلية الحقوق، من ابرز مؤلفاته: (احزان فرتر الشاب) و(فاوست) و(الديوان الغربي والشرقي). ينظر: معجم اعلام المورد، ٣٠٣.

(٢) توماس كارلايل، (١٧٩٥- ١٨٨١م)، كاتب ومؤرخ وفيلسوف انكليزي، من اشهر كتبه: (الثورة الفرنسية) و(في الابطال وتقديس البطل وعنصر البطولة في التاريخ). ينظر: معجم اعلام المورد، ٣٥٣.

(٣) جورج برنارد شو، (١٨٥٦- ١٩٥٠م)، كاتب مسرحي انكليزي، ايرلندي المولد، يعد اعظم الكتاب المسرحيين الانكليز منذ القرن السابع عشر للميلاد، منح جائزة نوبل في الاداب لعام(١٩٢٥م)، من اشهر مؤلفاته: (قيصر وكليوباترا) و(الانسان والسوبرمان) و(منزل الحسرات). ينظر: معجم اعلام المورد، ٢٦٣. موسوعة الاعلام العرب والمسلمين والعالميين، د. عزيزة فوّال، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٩ م، ٤٦٢.

(٤) آرنولد جوزيف توينبي، (١٨٨٩- ١٩٧٥م)، مؤرخ وفيلسوف بريطاني، وضع نظريته "التحدي والاستجابة" في كتابه الكبير (دراسة للتاريخ) وخلاصتها: ان الحضارة لا تنشأ الا حيث تكون البيئة صالحة لتحدي شعب ما والا عندما يكون هذا الشعب على اتم الاستعداد للاستجابة لذلك التحدي، وان الحضارات تنهار عندما تتلاشى عبقرية الاقلية المبدعة، ينظر: معجم اعلام المورد، ١٤٧؛ موسوعة المشاهير، مجدي سيد عبدالعزيز، دار الأمين- القاهرة، ١٩٩٦ م ، ٢/١٤١- ١٤٢.

(٥) ويل ديورانت، (١٨٨٥- ١٩٨١م)، مربّ ومؤلف امريكي، يعتبر احد ابرز الكتاب الذين وقفوا جهودهم على تبسيط التاريخ والفلسفة، اشهر آثاره: (قصة الفلسفة) و(قصة الحضارة) و(الفلسفة والمشكلة الاجتماعية). ينظر: معجم أعلام المورد، ١٩٨.

١- أزمة الفكر الغربي.
٢- تأثر مفكري الغرب بالإسلام .
٣- تعامل الاسلام مع أصحاب الاديان الأخرى .

المطلب الأول

أزمة الفكر الغربي[١]

أزمة الفكر الغربي تكمن في أنه ولد انسانا قلقا لا يشعر بالسعادة رغم نجاح الانظمة الغربية في توفير كل مستلزمات الحياة ، إلا أنه لازالت مظاهر عدم الرضا مخيمة على المجتمعات الغربية شعوبا وحكومات ففي الغرب أعلى معدلات الانتحار والجرائم والشذوذ الجنسي وغيرها من الموبقات، ويحلل الدكتور عماد الدين خليل بإيجاز الأزمة الغربية في كتاباته مرجعا أسبابها الى العوامل التالية :

أولا: تشخيص المرض بلا حل شاف له :

ان التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تعيشه الدول المتقدمة في تاريخنا المعاصر وما تقوم به أجهزة الإحصاء وشعبه المتخصصة في الدول المتقدمة، بحملة علمية شاملة لإحصاء هذه الظاهرة أو تلك، في مجرى الحياة المعاصرة الواسع، المعقد،

(١) للاستزادة والوقوف حول هذا الموضوع (ازمة الفكر الغربي وحضارة التكاثر بالاشياء) ينظر المراجع التالية: اولى ملاحم القرن، ١٠٧ ؛ مذكرات حول واقعة الحادي عشر من ايلول، ١٣٨ ؛ مقالات اسلامية ، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ٧٢ و ٨٤- ٩٦ ؛ كتابات على بوابة المستقبل: د. عماد الدين خليل- د. عبدالحليم عويس، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ٢٤؛ رؤية اسلامية في قضايا معاصرة ، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١- ٢٠٠٥م، ٩؛ في الرؤية الاسلامية، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ٢٠٠٥م، ١٠٧- ١٠٩؛ الفكر الغربي دراسة نقدية، انور الجندي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ١٩٨٧، ٢٧١. مؤشرات اسلامية في زمن السرعة، ٢٠- ٢٢؛ تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ١٨٥-٢٠٥؛ الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، د. عبدالفتاح الديدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥. ١٤٤- ١٤٥.

العميق.. مستخدمة أدق الأجهزة العلمية الحديثة التي تخدم هذا المجال وتتبع أحدث النظريات الإحصائية، وأكثر الرجال تفرغا وتخصصاً..

عشرات الحملات الإحصائية تجري في السنة.. ومئات الحقائق يكشف عنها النقاب.. وآلاف المؤشرات تطرح.. وعشرات الآلاف من الأرقام توزع.. في محاولة من الأجهزة والمراكز الإحصائية لخدمة الحياة المعاصرة، وترقيتها، والكشف عن مناحي نقصها، واضطرابها، وعذابها.. بهدف العلاج.. ومع ذلك فأبناء هذه الحضارة المعاصرة ليسوا سعداء..[١] .

إذن الغرب نجح في تشخيص المرض لكنه فشل في توفير العلاج اللازم له ، وكما يقول الدكتور عماد الدين خليل ((إن الإحصاء لا يفعل سوى أن يسلط الضوء على الظاهرة.. وأسارع فأقول إنها حقا خطوة لها أهميتها الكبيرة.. ولكنها وحدها لا تكفي .

لابد من العقيدة أولاً.. وبعدها يجيء دور الإحصاء.. و الإحصاء وحده لا يفعل شيئا ولا يعني شيئاً..))[٢] .

ويشير الى أن أحد عوامل إعجاب المؤرخ (توينبي)، بالإسلام هي ((قدرته الفذة على الفعل والتغيير وتمكنه من تخليص أمة بأسرها من ظاهرة تعاطي الخمر، تلك التي تمتد جذورها آلاف السنين، وهو ما لم يستطع قانون أو دين أو نظام أن يفعله كما فعله الإسلام؟!

أقرأتم عن المعجزة نفسها كيف تحققت؟..

ثلاث آيات من القرآن فحسب تحسم الموقف لصالح الإنسان.. لا أطنان من الأوراق.. ولا مئات الملايين من الدنانير.. ولا عشرات الألوف من المعتقلين.. ولا مئات من المؤشرات الإحصائية والبيانات العلمية والمنحنيات!!.

ثلاث آيات من القرآن فحسب.. والمفتاح يكمن في العقيدة.. لقد أعطى الإسلام

---

(١) ينظر: مؤشرات اسلامية في زمن السرعة ، د. عماد الدين خليل ، ١٣.

(٢) مؤشرات اسلامية في زمن السرعة ، د. عماد الدين خليل ، ١٣.

أتباعه عقيدة جادة تغلغلت في عقولهم وشرايينهم، حتى أصبحت الهواء الذي يتنفسون، والدم الذي يجري في العروق.

ومرة أخرى.. العقيدة أولا..

وبدونها.. فإن ألفاً من محاولات الإحصاء لن تفعل سوى أن تصف الظواهر وتصنفها.. أما الناس فإنهم سيظلون – في الطرف الآخر– ليسوا سعداء!!)) [١] .

ثانيا : المصلحة الخاصة هي محور السلوك والفكر فحسب :

هناك سؤال يتردد في أذهان كثير من المفكرين، ماذا يتبقى من إنسانية الإنسان اذا تحول نشاطه نحو تحقيق مصالحه الخاصة، أو سعت كل جماعة وكل طبقة أن يكون هدفها الاول والاخير هو مصالحها الخاصة فقط.. ويجيب على هذا التساؤل الدكتور عماد الدين خليل بقوله: ((ان الحياة ستفقد طعمها.. ربما سيزيد الانجاز، ويتطاول البنيان، ولكن الحياة ستفقد طعمها.. لان الذي سيتحقق هو تحول خطير في مجرى التجربة البشرية صوب أنماط المجتمعات الحشرية المنتجة: النحل.. والنمل ..ودود القز.. فهنالك تنظيم مبدع.. واقتصاد منتج.. وعمران مدروس.. ولكن لا شيء وراء مصلحة هذه المجتمعات في ضمان طعامها وتكاثرها.. لامطامح ولا أشواق.. ولا نوازع روحية أو جمالية أو أخلاقية.. لا شيء على الاطلاق.. ومع ذلك فالذي حدث في القرون الأخيرة من تاريخ البشرية، وبخاصة قرنها العشرين هو هذا الذي نخشاه.. تبلور المسعى البشري في بؤرة واحدة: المصلحة..))[٢].

ثالثا: السير نحو الفناء بالانتحار الفردي أو الجماعي مع التنظير له:

رغم انهم في قمة الحياة وفي سقفها العالي ورغم انهم يتمتعون بأعلى وتائر الرفاهية والتطمينات الاجتماعية ، التيسيرات الخدمية ، فيما لم تشهد المجتمعات البشرية مثيلا له حتى اللحظات الراهنة.. رغم هذا وذاك فانهم يندفعون صوب الانتحار وهو – باختصار شديد – يأس من الحياة ، وعجز عن تحمل أي قدر من ضغوطها وتحدياتها ، واعتقاد موغل حتى النخاع بلا جدواها، وبأنها لا

(١) مؤشرات اسلامية في زمن السرعة، د. عماد الدين خليل ، ١٥-١٦.

(٢) مؤشرات اسلامية في زمن السرعة، ٣٥؛ وينظر: المرجع نفسه، ١٣٥.

تستحق ان تعاش، على عكس ما يراه المسلم فرغم كل الانكسارات والاحباطات وانماط الحصار التي تدمره من الداخل والخارج ، هو النموذج الاكثر مقاربة لإنسانية الانسان ، والشاهد العدل على جدوى الحياة وقدرتها على الصيرورة والابداع والاستمرار ، وسيجد العالم نفسه ، في يوم قريب او بعيد ، مرغما على استدعاء هذا الشاهد لكي يدلي بأقواله حول الوجود البشري ومغزى الحياة .

ولسوف يتعلم من شهادته الكثيرون اذا ارادوا ان يخرجوا – فعلا – من الدائرة المقفلة التي تضيق الخناق عليهم يوما بعد يوم .. والا فهي الكارثة ..[١].

رابعا: انعدام التوازن بين الحاجات المادية والروحية لدى الانسان الغربي.

عندما يغرق الانسان فكرا وسلوكا في جو مادي بحت ، حيث لا مجال للقيم الروحية في حياته العملية ، عندها سيصل الى مرحلة يطلق عليها الدكتور عماد الدين خليل، اللا اكتراث[٢].. ((ذلك هو اصدق تعبير عن الموقف القاسي الذي يجابهه الإنسان الفرد في المجتمع الغربي.. لا احد يهتم به.. لا احد يحاوره .. لا احد يعينه على التعبير عن ذاته .. انه ضائع وسط المجموع الأصم ، والذي يلف في أعماقه ملايين الأفراد الذين لا يعرف بعضهم بعضا، ولا يحدث بعضهم بعضا، ولا يمد بعضهم يده لانتشال بعضهم الأخر؛ وهو ينكفئ على وجهه وتدوسه الأقدام المتراكضة صوب مزيد من الاقتناء والإنتاج والتكاثر))[٣].

التعذيب!! تعذيب النفس وتعذيب الآخرين .. هو الجواب الشاذ للوضع الشاذ الذي أوجدته ضغوط الحضارة العلمانية المعاصرة في المدن الكبرى .. [٤] .

فالمدنية الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازنا بين حاجات الإنسان الجمالية والاجتماعية، وبين أشواقه الروحية[٥] .

---

(١) ينظر: الرؤية الآن في هموم فلسطين والعالم الاسلامي: د. عماد الدين خليل،١٠٤– ١٠٧.

(٢) أي بمعنى اللامبالاة وعدم الاهتمام، ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ. ١٨٠/٢.

(٣) تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل، ٢١٧.

(٤) تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل ، ٢٢٣.

(٥) تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل ، ٢٣١.

ان عبارة: ماذا بعد؟ ماذا لو ربح الانسان العالم، وخسر نفسه؟ التي صاغها، وطرحها، كل المنشقين على حضارة الحس، والتكاثر، والتيسير المادي.. كل الرافضين لضياع عمقها الحقيقي.. كل اللامنتمين الى مسيرتها المتضحلة الخالية من أي هدف، او مغزى كبير.. هذه العبارة تختصر المعضلة كلها. اذ انه بدون اهداف بعيدة، تتجاوز القريب.. بدون آمال كبيرة تعبر المنظور والملموس.. بدون ايمان عميق، بحياة وراء هذه الحياة، وعالم خلف هذا العالم.. بدون توجه الى الله الواحد، جلّ في علاه.. فلن تكون الحياة، سوى رحلة قصيرة، تتكشف سريعا، عن نهايتها المحدودة، حيث يتبدى للإنسان، ان لا شيء يستحق ان يعاش من اجله!

إنّ الغربيين بحاجة الى بطانة، الى عمق روحي، يضاف الى نسيج علاقاتهم المتفوقة في امتدادها الافقي.. وحينذاك- فقط – يمكن ان يستعيدوا سعادتهم الضائعة، التي هي اعذب بكثير، من كل صنوف الاشباع، والتيسير، والتطمين! [١]

((ان الحضارة الغربية اليوم، اصبحت جسدا لا يملك روحا، ولا ضميرا ، ولا اخلاقا.. اما الدين.. فسلام عليه، والجسد الميت لن يحس أو يتألم حتى ولو انتهك شرفه في اليوم خمسين مرة!!))[٢].

والشهادات التي تدين الحضارة العلمانية المعاصرة ستزداد تنوعا واتساعا عبر القرن القادم، وستجعل ادانة هذه الحضارة اكثر عنفا ووضوحا وفي مقابل هذه الشهادات والادانات ثمة الكثير مما قاله الغربيون انفسهم عن مستقبل الاسلام، واقصى ما يمكن ان نفيده من شهاداتهم تلك هي تأكيد حقيقة ان العالم يعاني من ازمة قاسية، وانه بحاجة الى قارب النجاة قبل أن يموت أو ينتحر غرقا .

والمسألة ليست في ايجاد البديل، بل المطلوب في العقود القادمة هو تحقيق القدرة على التوصيل .

ان الاستعداد للتقبل سيزداد اتساعا مع الايام والفراغ الذي يتمخض عن معطيات حضارة لا تعرف الله والانسان سيزداد عمقا والتاريخ يصنعه احيانا توقيت

(١) ينظر: رؤية اسلامية في قضايا معاصرة: د. عماد الدين خليل، ١١.

(٢) مؤشرات اسلامية في زمن السرعة ، د. عماد الدين خليل، ٢٠.

ذكي لإصابة الاهداف.. وها هي ذي الاهداف المواتية تدعونا، فلنعد للأمر عدته فان كسب رجل مثقف من عالم الغرب .. رجل على مستوى ليوبولد فايس او بوكاي، هو كسب كبير يزيد في رصيد الاسلام مرتين، مرة بانتماء الرجل الى هذا الدين، ومرة بتوظيف قدراته لتوصيل قناعاته الجديدة الى بني جلدتهم بلغتهم نفسها وقناعاتهم ذاتها .

فليس بالأماني والظنون والاحلام يقينا لبلوغ أهدافنا التي نرمو الوصول اليها ولكن بالفعل والتحقق والتجريب والممارسة والجهد والمقاومة والحركة .

فيتوجب علينا معرفة الطريق الذي يتوجب ان نسلكه لتحويل الكلمات المضيئة الى افعال مضيئة، والنذر المتوعدة الى نار مشتعلة.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٥ – ١٠٦، ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ القصص: ٥ - ٦

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥ (١) .

خامسا: النظرة أحادية الجانب:

المفكر الوضعي الذي يكتشف جانبا من الحقيقة أو مساحة من الظاهرة، أو وجها واحدا ما من الفكرة، يسعى للاعتقاد بأن ما اكتشفه هو الجانب الوحيد للحقيقة، والمساحة الكلية للظاهرة، والوجه المتفرد للفكرة .. ويبذل جهدا متواصلا لإقناع أتباعه بذلك، ولشدة التكرار والإلحاح يتوهم هؤلاء أن ما يقوله هو الحق، وأن اكتشافه الفكري هو الصواب، وأنه يتضمن أطراف الحقيقة أو الفكرة أو الظاهرة كافة..(٢)

(١) ينظر: كتابات على بوابة المستقبل ، ٢٤- ٢٦.

(٢) ينظر: حوار في المعمار الكوني، الدكتور عماد الدين خليل، دار ابن كثير، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م، ص٨٦.

فعلى سبيل المثال: لماذا يصر عقل فذّ مثل (هيغل) على جعل الجدل، أو الديالكتيك، او التقابل المتضاد بين الحقائق والتجارب ، يقتصر على نطاق الفكرة؟ ولماذا يجيء (ماركس) و(انجلز) بعده لكي يدينا على أحادية نظرته، بل على وضعها المقلوب، لكنهما ما يلبثان أن يقعا في الخطأ نفسه فيتشنجان على نظرية الديالكتيك المادي، أي الجدل في نطاق المادة وحدها؟

إنهما يتهمان (هيغل) بأنه وضع فلسفة تمشي على رأسها، لكنهما وهما يسعيان لتعديل الوضع الفلسفي، قدما فلسفة تمشي على بطنها بحثا عن الخبز وحده[٢].

وأمام هذه الافكار التي تطغى على أصحابها صفة الذاتية ومحاولة إنفراد واعتزاز كل مفكر برأيه، يطرح الدكتور عماد الدين خليل تساؤلا منطقيا مفاده: ((أما كان من الأولى أن يتجاوز (هيغل) تشبثه بالفكرة، وأن يبعد (ماركس) و(أنجلز) قليلا عن الأرضية المادية، وأن يحاول الطرفان وضع صيغة للجدل أكثر شمولية تتضمن الفكري والمادي معا؟))[٢] .

تلك هي أزمة الفكر الوضعي من جهة المفكر نفسه، أي من الزاوية التي يطل بها على العالم، والمنهج الذي يعتمده في التعامل مع الظواهر والحقائق والأشياء[٣].

سادسا: تذبذب الفكر الوضعي:

إن الفكر الوضعي متذبذب ينفي اليوم ما أثبته البارحة، وقد يثبت غدا ما ينفيه اليوم، فهو ينظر الى جانب واحد من الحقيقة، ويسيطر عليه هوى النفس وإن كان مفكروه يدعون الموضوعية والتجرد في البحث العلمي، قال تعالى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٣ .

ويضع مفكرنا الدكتور عماد الدين خليل هذا الفكر ورموزه تحت مجهره الإسلامي الدقيق فيكشف لنا عن شواهد تثبت بما لا يدع مجالا للشك قصور الفكر الوضعي وتناقضاته ومن هذه الشواهد:

---

(٢) ينظر: حوار في المعمار الكوني، الدكتور عماد الدين خليل، ٨٨.

(٢) حوار في المعمار الكوني، ٨٨.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ٨٩.

أ- خرافة الاسرة أم خرافة الفكرة ؟

يمهد لنا الدكتور عماد الدين خليل هذا الشاهد حول سخافة وتناقض الافكار الوضعية الغربية بقوله: ((اللعب على التقاليد البشرية المنبثقة عن الفطرة، والموغلة في شرايين الناس، والمتعشقة مع معطياتهم الحضارية، قديم..))[١].

ويبين لنا الدكتور عماد الدين سبب هذه الظاهرة القديمة والحديثة بقوله: ((كانت دوافع اللعب المضاد لحاجات الإنسان الاساسية مختلفة ، لكنها لم تخرج عن حدود الرغبة في الكسب على حساب الحقائق والأصول والتقاليد .. كسب المال حينا ، وكسب الأنصار حينا آخر، والتأله في الأرض باسم الادعاء والمعرفة المطلقة حينا ثالثا)) [٢] .

وفي القرن التاسع عشر أصدر ماركس وانجلز منشورا شيوعيا ينص على: ((إن الاسرة البورجوازية سوف تختفي بشكل طبيعي باختفاء رأس المال .. أما التهريج البورجوازي عن الاسرة وأهميتها في التربية ، وعن اهمية العلاقة بين الولد وابويه ، فهو مما يثير الاشمئزاز. لإن تقدم الصناعة الحديثة سوف يقطع كل الصلات العائلية بين افراد الطبقة العاملة))[٣] .

إن هذا المنشور هو نبوءة وهمية اكثر من كونه فرضية علمية ، وذلك لكونه لا يستند الى أي دليل عقلي او نقلي معتبر، فهو يدعي أن الاسرة ستؤول الى الانحلال مع تقدم الصناعة الحديثة، ويفند الدكتور عماد الدين خليل مضمون هذا المنشور بتحليل علمي دقيق قائلا: ((اختفاء الاسرة باختفاء رأس المال.. وهب ان رأس المال قد اختفى في العديد من الدول، او كاد، لكن الاسرة ازدادت قوة ورسوخا، ومضت بتقاليدها الاصيلة لكي تعلو على كل المتغيرات، فلا تتأثر بفعل أو رد فعل فيما يمكن أن يزيلها من الوجود.

---

(١) المرجع نفسه، ٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ٤٠.

(٣) حوار في المعمار الكوني، ٤١.

واهمية الاسرة في التربية، وفي العلاقة بين الولد وأبويه مسألة تثير الاشمئزاز.. هكذا يقول المنشور، ولكن الواقع حتى في الدول الشيوعية التي تبنت المنشور، يقول ما يخالف هذا، ويؤيد بشكل متزايد أهمية الاسرة في التربية باعتبارها حجر الزاوية، واهمية العلاقة بين الولد وابويه باعتبارها ضرورة للتحقق بالحد الادنى من السوية النفسية، وانه ليس ثمة مؤسسة تغني عن الأسرة في إعداد جيل سوي، متوازن، غير منحرف ولا جانح، قدير على مواصلة أعباء الحياة بالصيغ التي تليق بالإنسان وتمكنه من مواصلة نموه الحضاري .

وبمجرد نظرة سريعة على ثقل الأسرة كواقعة اجتماعية ، وضرورات العلاقة التربوية بين الولد وابويه ، تجعل المرء يشمئز من مقولة الرجلين صاحبي المنشور، ويتشكك في جديتهما وقدرتهما على طرح الحقائق الثابتة التي لا تتعرض للشك والاهتزاز..))[1].

ويبدو أن كره ماركس وانجلز للرأسمالية قد انسحب على كل ما تؤيد وجوده هذه الطبقة، فوقعوا في اخطاء جسيمة ومنها هذا الخطأ الفادح الذي يمس كيان المجتمع الانساني. ((ولو أنهما تحررا قليلا من أسر المنظور الطبقي الضيق، ونظرا الى الانسان على مدى انسانيته التي تتجاوز المحدود، لما تورطا في مقولة كهذه لا تعدو ان تكون واحدة من الخرافات التي تمرس الكهنة والدجالون في صياغتها على مدى التاريخ إنها خرافة الفكرة الخاطئة، وليست – بحال – خرافة الاسرة الموغلة في الزمن رغم تبدل الاوضاع وتغير الاحوال..))[1] .

ولم يلبث الشيوعيون ان اكتشفوا مدى خطورة ما يدعون اليه، وان نبوءتهم عن سقوط الاسرة كانت حلما مؤذنا بسقوط المجتمع بكامله وانتشار الفوضى فيه إن تحقق . فقد لمسوا بأنفسهم ما يمكن ان تقودهم اليه هذه الفكرة الخرافية، فعندما شاع السفاح والاتصال الجنسي العابر في روسية ((اعلن لينين تصريحه الشهير الذي يهاجم فيه نظرية كأس الماء، وهي : النظرية التي تزعم ان العملية الجنسية ليست

(١) حوار في المعمار الكوني، ٤٢.

(١) حوار في المعمار الكوني ، ٤٣.

اكثر خطرا واثرا من عملية إطفاء العطش بكأس من المـــاء))[١]. وهنـــا اتضـــحت الحقيقة على ارض الواقع . فاعتبروا ان الزواج هو الفضيلة العمالية، التي تتلخص في أن الانسان ينبغي له ان يتزوج ويخلص لزوجته وينجب ابناء عمـــاليين، امـــا الزواج البرجوازي فانه ينتج بورجوازيين جدد وبالتالي فإن ((نظام الـــزواج الـــذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهرا للفساد والتحلل، يتحول منطقيا إلى عكس ذلـــك في المجتمع العمالي السليم..))[٢].

وهنا حاول الشيوعيون تبرير ما وقعوا فيه من خطأ بإسلوب فلسفي فيه تناقض واضح في الطرح ، وهذا هو الهروب من الاعتراف بخطأ نظريتهم.

ويعلق الدكتور عماد الدين على هذا الإسفاف الفكري بقوله: ((يجد المرء نفسه مضطرا للمقارنة بين النظريات الوضعية التي تقوم على الأهواء والظنون فتـــرتطم بالواقع والتاريخ والإنسان، وبين العقيدة الاسلامية القائمة على العلم الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي يعرف كيف يتطابق بإعجاز مع الواقع والتاريخ والإنسان، فلا يكون ثمة تراجع او ارتطام))[٣] .

ب- نسبية الفكر الغربي :

إن نسبية الفكر الغربي، وقلقه، وتأرجحه، وعدم استناده على أرضية ثابتة من اليقين والعلم ، تجعله صنما فكريا من صنميات أوربة يعكـــف عليـــه مفكروهـــا، ويقدمون القرابين الذهنية المتناقضة التي تعكس صورة سيئة عن الواقع الذي يرونه بعدسات أنظارهم، فواضع أسس الفلسفة الوضعية: (أوغست كونت)[٤] يتخذ، بسبب دوافعه الذاتية ونزواته الغريزية التي لا تقوم على أي أساس موضـــوعي، مـــوقفين متناقضين من المرأة !!

---

(١) حوار في المعمار الكوني، ٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ٤٦.

(٤) أوغست كونت، (١٧٩٨- ١٨٥٧م)، رياضي وفيلسوف فرنسي، يعتبر مؤسس الفلسفة الوضعية، من أشهر آثاره: (مباحث في الفلسفة الوضعية). ينظر: معجم أعلام المورد، ٣٧٧. مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، ٢٣٩.

ففي رسالة بعنوان (رسالة فلسفية في التذكار الاجتماعي) يبعث بها أوغست كونت الى محبوبته (كلوتيلد دي فو) ، يغير رأيه في المرأة ومكانتها الاجتماعية تغييرا تاما!! فيرى انه ليس في المرأة أمل ولا خير، أما الان فهو يرى المرأة عنصرا أساسيا في الاصلاح الاجتماعي الذي وقف نفسه عليه، والسبب في هذا الانقلاب الفجائي والانتقال في المتناقضات هو انه في المرة الاولى كان يحب امرأة قبلت الزواج منه، ولكنها خدعته فدفعته الى محاولة الانتحار والالتحاق بمستشفى المجانين حينا من الدهر، وفي الثانية أحب فتاة لم يتح له الزواج بها، لكنها منحته نفسها وأحبته حبا صادقا، فعندما نقارن هذا العبث بالموقف الديني من المرأة مع الموقف الثابت الواضح المنبثق عن علم إلهي بتكوين هذا الجنس وخصائصه ووظائفه المناسبة، نرى فرقا شاسعا فمن يتجاوزه صوب الاحكام النسبية المتغيرة أو يتعامل معه على اساس متقلب مع المرأة يستحق الرثاء والازدراء لا الاطراء والثناء[١].

ويحلل الدكتور عماد الدين هذا الانقلاب المفاجئ في موقف (كونت) بقوله: ((واذا كان موقف (كونت) مؤسس واحدة من اشد الفلسفات أهمية وانتشارا في أوروبة يغير رأيه بسبب دوافع ذاتية صرفة، وفي واحدة من المسائل الأساسية في الحياة البشرية : المرأة، فكيف يرجى لفلسفته أن تمنح اليقين لتلامذتها والمعجبين بها، بل كيف نفسر تحولها، وغيرها كثير من الفلسفات البشرية العاجزة الى ما يشبه الدين الذي ينحني الغربيون لمسلماته ويعتقدون انه الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ ألا ينسحب الأمر على معظم الفلسفات والعقائد الوضعية إن لم نجازف فنقل : كلها ؟!))[٢].

سابعا: مفكرو الغرب يطلقون نداءات الاستغاثة :

اليوم ترتفع صرخات كبار مفكري العالم تنذر بالويل من المصير الأسود الذي ستؤول اليه المسيرة المعاصرة وتطالب بالإنقاذ، انقاذ يتطلب من طلائع البشرية ان

(١) ينظر: حوار في المعمار الكوني، ١٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٦.

تسير على طريق جديد، متوحد مستقيم، تظلله القيم الروحية والاخلاقية، ويحكمه التوازن بين المادة والروح، ويوجهه الله الذي ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه:٥٠ .

لقد تكلم (برنارد شو) و(اشبنغلر) و(توينبي) و(كولن ولسون)[١] و(برغسون) و(ياسبرز)[٢] و(ماسنيون)[٣] و(ديورانت) و(كاريل) [٤] وغيرهم كثيرون ... كلهم اعلنوا عن مأساة الانسان المعاصر، وعن اليوم الذي ستنهار فيه حضارة المادة التي لا توائم الانسان ولكنهم كلهم لم يعرفوا الطريق، لان الطريق بأيدينا نحن المسلمين فما دامت البشرية تشقى بنظمها وتجاربها الوضعية ، وما دامت شعوب الارض في كل مكان تعيش أقسى تجربة عرفها التاريخ، فان البديل لن يكون الا المبدأ الذي

---

(١) كولن هنري ولسون، (١٩٣١– ٢٠١٣م)، كاتب انجليزي، ولد في ليستر في انجلترا، عمل في وظائف مختلفة، من اهم اعماله: (اللامنتمي) و(المعقول واللامعقول) و(سقوط الحضارة). المصدر: www.wikipedia.org.

(٢) كارل ياسبرز، (١٨٨٣– ١٩٦٩م)، فيلسوف وطبيب نفسي الماني، درس القانون والطب، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم الطبيعية عام(١٩٠٩م)، ويعتبر احد ابرز وجوه الفلسفة الوجودية، من اهم اعماله: (طب الامراض النفسية العام) و(الفلسفة) و(الانسان في العصر الحديث) و(فلسفة الوجود). ينظر: اعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ٢٠٥؛ معجم اعلام المورد، ٥٠٢.

(٣) لويس ماسينيون، (١٨٨٣– ١٩٦٢م)، مستشرق فرنسي ومن اعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، ولد في ضاحية نوجان على نهر المارن في باريس، وعرف خصوصا بدراساته في التصوف الاسلامي عامة، وفي الحلاج خاصة، من اشهر آثاره: (مقالة في اصول المصطلحات الصوفية الاسلامية). ينظر: موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين– بيروت، ط٣، ١٩٩٣م ، ٥٢٩ ؛ معجم اعلام المورد، ٤٠٩. الاعلام، ٥ / ٢٤٧.

(٤) الكسيس كاريل، (١٨٧٣– ١٩٤٤م)، جراح وعالم بيولوجي فرنسي، اكتشف طريقة لخياطة الاوعية الدموية، منح جائزة نوبل في الفيسيولوجيا والطب عام (١٩١٢م) من اشهر كتبه: (الإنسان ذلك المجهول). ينظر: معجم اعلام المورد، ص ٣٥٤؛ موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، ٣/٣٨٨– ٣٨٩.

رسمه الله طريقا مستقيما لمسيرة الانسان نحو الغاية التي خلق من اجلها، لن يكون إلا الإسلام ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ يوسف: ٤٠ (١).

المطلب الثاني

تأثر مفكري الغرب بالإسلام

من خلال الاطلاع على تاريخ عباقرة الغرب ومفكريه يلاحظ أنّ الاسلام يؤثر في العقول النيّرة لعقلانية تعاليمه ويؤثر في النفوس الطيبة للأخلاق السامية التي يدعو إليها، والتي يتطلع اليها أصحاب الفطر السليمة.. إلا أن الكتّاب الغربيين الذين أُلّفوا كتبا عن الاسلام في الغرب لم يكونوا كلهم منصفين بل زادوا فيه ما لم يكن منه، وحرفوا بعض مفاهيمه ، كما استند بعضهم على روايات ضعيفة منتخبة ليُسيؤا الى هذا الدين العظيم ، وهذا مما قلل من انتشار الاسلام في الغرب في القرون السابقة، حيث كانت حملات التشويه والتبشير قائمة على قدم وساق لتحجب نور هذا الدين عن أوربا.

ورغم كل ذلك فإن قدرة الإسلام على اجتذاب أصحاب العقول النيرة والقلوب الكبيرة، تكمن حسب تصور الدكتور عماد الدين خليل في إمكانية الاسلام على منح الجواب للعقول الكبيرة التي لم يكن بمقدور المذاهب الوضعية ان تمنحها ما تريد؟ وها هي العقيدة المنزلة من عند الله الذي يعلم من خلق، والذي هو سبحانه أدرى بخلقه، تحقق الاستجابة وتقود الحيارى الى المصير المتوحد الذي يتوقون اليه.

لقد كان الإسلام دائما قديرا على كسب اناس من مستويات حضارية متقدمة الى صفه ، فهذا الدين له القدرة على الكسب في كل زمان ومكان، وان يلتقي مع مطالب الانسان واشواقه وحاجاته الاصيلة، حيثما كان هذا الانسان، وان يحمل قدرته على الحركة والامتداد في القرن التاسع عشر او القرن العشرين. واذا كان

(١) كولن هنري ولسون، (١٩٣١– ٢٠١٣م)، كاتب انجليزي، ولد في ليستر في انجلترا، عمل في وظائف مختلفة، من اهم اعماله: (اللامنتمي) و(المعقول واللامعقول) و(سقوط الحضارة). المصدر: www.wikipedia.org.

الفارق كبير حقا – في المستوى الحضاري – مابين الافريقي الذي انتمى للإسلام في القرنين الماضيين، وبين الاوربي او الامريكي او الياباني الذي ينتمي اليه في القرن العشرين، فإن ثمة قاسما مشتركا اعظم تذوب معه الفوارق الحضارية والجغرافية والجنسية، بل تذوب معه حواجز الزمان والمكان، ذلك هو إنسانية الإنسان..[١]

فإن الاسلام يخاطب روح الانسان وعقله، تقول فاطمة تزفسكن[٢]: ((لم يتبين لي الفرق الشاسع بين تعاليم الاسلام وبين كثير من العادات الشرقية إلا عندما دخلت عالم الاسلام الروحي عن طريق القرآن والكتابات الاسلامية .. فشعرت ببطء كيف يجذبني الإسلام. وكانت تعاليمه تخاطب عقلي وفطرتي. وكان من اهم ما شدني الى النظام الاجتماعي المثالي في الاسلام، تساوي جميع الأجناس، والتسامح الذي لا حد له، والحرية التامة في جميع المجالات الدنيوية والروحية، وكذلك الاعتراف بالحياة الدنيا من غير مبالغة، والاجتهاد في طلب العلم الذي يعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة.. وأخيرا وليس آخرا أعجبت بالعلاقة المباشرة بين العبد وربه... ولقد بدا لي، وأنا أتلو كتاب الله، أن الاسلام وحده هو الطريق الذي علمه الله للناس منذ بدءِ الخليقة، وأنه هو الحق))[٢].

(١) ينظر: في الرؤية الاسلامية، ٢٥– ٢٧.

(٢) فاطمة تزفسكن: فتاة من تشيكوسلوفاكيا كانت تحمل اسم (مونيكا)، ولدت عام١٩٤٣م، وتخصصت في الرسم الهندسي. قرأت كثيرا واتصلت بعدد من المسلمين الالمان، وبعد ان اقتنعت بالاسلام دينا، أعلنت إنتماءها إليه عام١٩٦٣م. ينظر: قالوا عن الاسلام، ١٤٢.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ٢/٩٨– ٩٩ ؛ وينظر: قالوا عن الاسلام، ١٤٢– ١٤٣.

المطلب الثالث

تعامل الاسلام مع أهل الأديان الأخرى

الإسلام دين جاء لهداية الناس أجمعين ، لذا فهو قد رسخ مبدأ الوحدة الانسانية في أصل الخلق من ذكر وأنثى ، والتنوع في صيغة العيش كشعوب وقبائل، جاعلا من العمل الصالح– التقوى– ميزانا للتفاضل بين البشر، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ الحجرات: ١٣. وبهذا حرر الاسلام العقل الانساني من العصبيات الجاهلية الجهلاء للون والعرق والطائفة .

((فالإنسانية كلها في النظر الإسلامي، جاءت من نفس واحدة، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء: ١ ، وهي نظرة تُعبّر عن مساواة الإنسان للإنسان ، لا فرق بين لون وجنس ، ولا بين ذكر وانثى ... فأفراد الانسان خلقوا من نفس واحدة ، ويستحيل أن تكون النفس الواحدة ذات طبيعتين مختلفتين – وإنما هي طبيعة واحدة لها خصائص تتمثل في الذكورة وخصائص اخرى تتمثل في الانوثة . فلم يشأ اطلاقا أن يفرق بين الفرد والفرد من حيث النشأة والطبيعة، بل جعل الفرق بينهما فيما يكتسبه الانسان محققا لخصائصه البشرية، وهو التقوى. فالتقوى صورة الانسانية المهذبة التي وضعها الاسلام هدفا يسعى للوصول إليها كل فرد من أفراد البشرية، والناس في مراحل السعي إليها يختلفون قربا وبعدا منها)) [١] .

فالعرقية ، تميز بين أعراق عالية وأعراق سافلة، في طبيعة الوجود البشري. وهذا يعني إنكار وحدانية الإنسان ، في طبيعة وجوده . فاستبدال قرابة الدم بقرابة الإيمان، أعطى الإنسان معناه الوحدوي الصحيح. إذ جعل الفرق الوحيد بين إنسان

(١) الدين والحضارة الإنسانية، الدكتور محمد البهي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٤، ١٦٠.

وإنسان، عامل الإيمان بالله..[١] هذا العامل الذي هو من مشيئة الإنسان، وليس لاصقا به منذ وجوده، وموروثا من العرق الذي هو نازل منه، ولا قبل بالخروج عنه. وهذا التحول يعني، أن الإنسان هو أخو الإنسان. بقطع النظر، عن أي عامل عرقي. كما انه يعني أيضا، أن الإنسان سيد مشيئته، وانه حر في أن يؤمن أو لا يؤمن.

إن الرسالة الإسلامية، كرّست وحدانية الإنسان. وكرّست حريته، وقد عبر عن هذا، فيما جاء في الرسالة من آيات، وأحاديث وتعاليم . ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ البقرة: ٢٥٦ [٢] .

وأما التعاون بين أفراد الإنسانية بغض النظر عن المذهب والعقيدة ، فالإسلام يأمر المسلمين بأن يكونوا دائما وأبدا في معاملة إنسانية كريمة مع المختلفين معهم في الإيمان ... إن جادلوهم يجب إن يكون جدالهم في صورة إنسانية مهذبة : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت: ٤٦ ، وأن يعاملوهم بالعدل والاحسان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ المائدة: ٨، ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ الممتحنة: ٨ ، ووجه الاستدلال بالآيات المتقدمة ان فيها رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، وان يعاملوهم وفق الخلق الاسلامي الذي أمر به الشرع الحنيف وما تضمنه من تعاليم مثلى في معاملة الاديان الاخرى وفق المنظور الاسلامي، وليس حسن التعامل مقتصر على ما ورد في الكتاب العزيز بل هناك نصوص من السنة

(١) ينظر: الإنسان العربي قديمه وجديده، الدكتور جورج حنا، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، ١٩٦٤، ٤٠.

(٢) ينظر: الإنسان العربي قديمه وجديده، الدكتور جورج حنا، ص٤١

المطهرة حثت على ذلك منها أن أسماء بنت أبي بكر[١] رضي الله عنهما قالت: ((قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك))[٢] وكذلك ما جاء في حديث أبي ذرّ[٣] رضي الله عنه، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاهم بأهل مصر لأن فيهم كثير من الاقباط فقال صلى الله عليه وسلم: ((إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط [٤] فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فان لهم ذمة ورحما)) [٥] .

---

(١) أسماء بنت أبي بكر الصديق،(ذات النطاقين)، من كبار الصحابة والدة عبد الله بن الزبير بن العوام، قرشية من بني عامر بن لؤي أسلمت قديما بمكة، (ت: ٧٣ أو٧٤هـ)، ينظر: الاصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥ه - ١٩٩٤م ، ٨/١٢-١٣. تقريب التهذيب، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد- حلب، ١٩٨٦م ، ٧٤٣.

(٢) حديث الصحابية اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما: أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين، ٢/٩٢٤، ح(٢٤٧٧). ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الاقربين والزوج والاولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، ٢/٦٩٦، ح(١٠٠٣) واللفظ للبخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن وايامه (صحيح البخاري): ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي- بيروت، ١٩٥٥م.

(٣) جندب بن جنادة، مختلف في اسمه واسم ابيه، من بني غفار كان من السابقين الى الاسلام ومن كبار الصحابة، صادق اللهجة، (ت: ٣٢هـ)، ينظر: الاصابة في تمييز الصحابة، ٧/١٠٥- ١٠٩.

(٤) القيراط: نصف دانق أو ربع سدس الدينار، وهو وحدة من وحدات الوزن تساوي ٢٠٠ملليجرام، اتخذت معيارا لوزن الاحجار الكريمة. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٣/١١٥١. معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/١٨٠٠.

(٥) حديث الصحابي ابي ذر ﷺ: أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر، ٤/١٩٧٠، ح(٢٥٤٣).

إذن علاقة المسلمين بغيرهم حيث لا يعتدى عليهم : علاقة طبيعية ، فلا يتعرض المسلمون لغيرهم في شؤون حياتهم وعباداتهم وطقوسهم ، وممارسة شعائر دينهم ، واستعمال لغاتهم الخاصة بهم ، ومعاملتهم بيعا وشراءً وإجارةً واستئجارًا وشركةً وغير ذلك من ممارسة الاعمال والبناء والزراعة ، لكن مع الكراهة أحيانا خشية التأثر بعاداتهم وأثناء مخالطتهم . مع التحريم أحيانا أخرى إذا اشتمل التعامل على مبادلة الخمور والخنازير [١] .

فأجاز الإسلام التعامل معهم بالبيع والشراء وشركتهم ومضاربتهم واستئجارهم واستئجار المسلم نفسه منهم وغيرها من المعاملات وفق الأحكام والضوابط التي حددتها الشريعة الإسلامية.

وفي موقف الدفاع عن الإسلام يفند الدكتور عماد الدين خليل إدعاءات الحاقدين على الإسلام من الغربيين الذين حملتهم عصبياتهم الدينية أو العلمانية على تشويه صورته بالافتراء عليه فبيّن أن أعداء الإسلام اتهموا الإسلام ولا يزالون بألف تهمة وتهمة ومن بينها احتكار الحقيقة ونفي الآخر.

وكيف ينفي الإسلام الآخر وتاريخه الطويل وتقاليده المؤكدة تقود إلى شيء واحد: إنه ما من عقيدة في تاريخ البشرية أتاحت الفرصة للآخر، على مستوى الحرية والتحقق، كعقيدة الإسلام؟ واستشهد بالسير توماس آرنولد[٢] الذي سهر لمدة أربعين عاما على إنجاز كتابه المعروف (الدعوة الى الاسلام) [٣] وتحدث فيه عن

---

(١) ينظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر- دمشق، ٢٠٠٦م، ٤٠.

(٢) توماس ووكر آرنولد، (١٨٦٤- ١٩٣٠م)، مستشرق انجليزي متعاطف مع الاسلام، ولد في انجلترة، تعلم في جامعة كمبردج، وقضى عدة سنوات في الهند استاذا للفلسفة في كلية عليكرة الاسلامية، وهو أول من جلس على كرسي الاستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن سنة (١٩١٧م)، من أبرز مؤلفاته: (الدعوة الى الاسلام) و(الخلافة) و(التصوير في الاسلام). ينظر: موسوعة المستشرقين، ٩- ١٠. قالوا عن الاسلام، ٤٥.

(٣) ترجمة: د. حسن ابراهيم حسن ورفاقه، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط٣، ١٩٧١م.

سبل انتشار الإسلام وتعامل المسلمين مع الآخر، ولم يكد يدع وثيقة أو مصـــدرا إلاّ وضع يده عليها، حيث وقف على كثير من الاستنتاجات كان من أبرزها وأهمها هو انه على مدى ثلاثة عشر قرنا من الزمان لم يُعثر على حالة واحدة أكره فيه غيـــر المسلمين على اعتناق الاسلام!

في حين لا ينسى التاريخ ما فعلته الكنيسة الكاثوليكية فـــي اســـبانيا[١] لحظـــة انتصار فرديناند[٢] وايزبيلا[٣] على آخر المعاقل الاسلامية هناك: غرناطـــة[٤] لقـــد ذبحوا أمة بكاملها وأتوا على دينها وتقاليدها وثقافتها وتراثها ووجودها المادي، من القواعد فلم يعد لها أيّ وجود عبر عقود معدودة من الزمن، وهو نفـــس مـــا فعلـــه الامريكي بالهنود الحمر والصهيوني بالفلسطينيين، والفاشستي الايطالي بالليبيين؟!

(١) المملكة الاسبانية عاصمتها مدريد، والقارة اوروبا، تحدها فرنسا وخليج بسكاي من الشمال، والبحر المتوسط من الجنوب الشرقي، والمحيط الاطلنطي من الغرب والجنوب الغربي. ينظر: موسوعة دول العالم: حقائق وارقام، محمد الجابري، مجموعة النيل العربية- القاهرة، ٢٠٠٠ م ، ٦٥.

(٢) فرديناند الخامس، (١٤٥٢- ١٥١٦م)، ملك أرغون بوصفه فرديناند الثاني، تزوج من ايزابيلا اميرة قشتالة فلما رقيت عرش قشتالة، اتخذ هو لقب فرديناند الخامس وبذلك توحدت اسبانيا، وقضى على بني نصر أو بني الاحمر ملوك غرناطة وهم آخر اسرة اسلامية حاكمة في الاندلس وذلك عام (١٤٩٢م)، ويعرف بالكاثوليكي. ينظر: معجم اعلام المورد، ٣٢٠.

(٣) ايزابيلا الاولى، (١٤٥١- ١٥٠٤م)، ملكة قشتالة (١٤٧٤- ١٥٠٤م)، تزوجت من فرديناند الثاني ملك ارغون، وبذلك توحدت اسبانيا كلها، تعرف بالكاثوليكية. ينظر: معجم اعلام المورد، ٨٠.

(٤) وهي من اقدم مدن كورة البيرة من اعمال الاندلس واعظمها واحسنها واحصنها، يشقها النهر المعروف قديما بنهر قلزم وهي الان تقع جنوب اسبانيا، ومعنى غرناطة بلسان عجم الاندلس (رمانة) سمي البلد بذلك لحسنه. ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: ٦٢٦هـــ)، دار صادر- بيروت، ط٢، ١٩٩٥. ١٩٥/٤.

الشواهد كثيرة والبقع السوداء تملأ ساحات الآخرين، أما في تاريخ الاسلام وواقعه فتكاد تكون استثناءً لقاعدة أوسع بكثير [١] .

ويسوق لنا الدكتور عماد الدين خليل نصوصا رائعة من شهادات الغربيين على سماحة المسلمين منها :

قول الباحثة الالمانية زغريد هونكه [٢] في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) : ((لعل من أهم عوامل انتصار العرب ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسيج الخيال، تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة..)) [٣] .

إن عقلانية تعاليم الاسلام وسماحته جذبت الكثير من الغربيين اليه ، حتى من قرأ عن الاسلام بغية محاربته لم يلبث إلا أن آمن به في نهاية المطاف، تقول ديبورا

(١) ينظر: ريبورتاج حوار في الهموم الاسلامية: د. عماد الدين خليل، دار الحكمة، لندن، ط١- ٢٠٠٢م. ١٢٦- ١٢٧؛ وينظر: المرجع نفسه، ٢٦٥- ٢٦٦؛ ينظر: الاسلام والوجه الآخر للفكر الغربي، د. عماد الدين خليل، ٨٣- ٩٤؛ ينظر: المرجع نفسه، ١١٧- ١٢٢و ١٨١- ١٨٨؛ ينظر: الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، د. عماد الدين خليل، دار الفكر، دمشق، ط١- ٢٠٠٢م. ٢٣- ٣٠ ؛ وينظر: حوار في المعمار الكوني: د. عماد الدين خليل، ١٠٢- ١١٤؛ ينظر: مذكرات حول واقعة الحادي عشر من ايلول (سبتمبر): د. عماد الدين خليل، ١٢٨- ١٣١، وينظر: مدخل الى التاريخ الاسلامي، د. عماد الدين خليل، المركز الثقافي العربي- الدار العربية للعلوم، المغرب- بيروت، ٢٠٠٥ م ، ١٣٥- ١٤٣.

(٢) زيغريد هونكه، (١٩١٣- ١٩٩٩م)، مستشرقة المانية معاصرة، من ابرز آثارها: (أثر الادب العربي في الاداب الاوروبية) و(الرجل والمرأة) و(شمس الله تسطع على الغرب) الذي ترجم بعنوان (شمس العرب تسطع على الغرب). ينظر: قالوا عن الاسلام، ٢١٦. والمصدر: www.wikipedia.org

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، المكتب التجاري- بيروت، ١٩٦٤م ، ٣٥٧. وينظر: قالوا عن الاسلام، ص٢٧٨.

بوتر[١]: ((إن الناس في اوربا وأمريكا يقبلون على إعتناق الاسلام بأعداد كبيرة.. لأنهم متعطشون للراحة النفسية والإطمئنان الروحي ، بل إن عددا من المستشرقين والمبشرين النصارى الذين بدأوا حملتهم مصممين على القضاء على الاسلام وإظهار عيوبه المزعومة ، أصبحوا هم أنفسهم مسلمين ، وما ذلك إلا لأن الحق حجته دامغة لا سبيل الى إنكارها))[٤] .

إن من سنن الحياة أن أي فجوة تحتاج الى من يسدها والنقص الى من يكمله والعلة الى من يشفيها، وكذلك أزمة الفكر الغربي الوضعي الذي عانى ويعاني من مخاض عسير لا يعرف أحد متى ينتهي ، دفعت الكثير من عباقرة مفكريه الى البحث عن بديل شاف واف ، فوجد بعضهم ضالتهم في الاسلام ، بشموليته وتكامل شريعته وأهليته لحل كافة مشاكل الحياة، وبتسامحه مع المخالفين له في المعتقد والمنهج، مقررا بذلك مبدأ حرية الاعتقاد. قال تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

(١) ديبورا بوتر، ولدت بمدينة ترافيرز، في ولاية متشيغان الامريكية عام (١٩٥٤م)، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الاسلام عام (١٩٨٠) بعد زواجها من احد الدعاة الاسلاميين العاملين في امريكا. ينظر: قالوا عن الاسلام، ٤٩.

(٤) رجال ونساء أسلموا، ١١٤/٨. وينظر: قالوا عن الاسلام، ١٤٢.

الخـاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

في ختام هذا البحث يَجمل بي أن أبيّن أهم النتائج التي وقفت عليها. أوجزها بالآتي :

١. هناك تداخل في فهم الفكر الغربي فيما بينهم ومع الجانب الشرقي، ولا يحكم على الكل بفكرة شخص أو اثنين فأكثر.

٢. وكذلك الانهيار الاجتماعي في بلدانهم وكيف تعاملوا معه بالفكر الخاص بهم ولم ينجوا لأنهم تعالوا عن طلبه من المسلمين، أو حتى قراءته من كتب المسلمين، وحسبوا ان فكرهم أو فلسفتهم ستكون أقوى من الوحي ، فتاهوا وضاعوا وخربوا اكثر مما عمروا في الإنسان، حتى دفعه إلى الشذوذ والجريمة .

٣. ان العقيدة الاسلامية الأصل الأصيل ركن مهم في بناء المجتمع وهو الفكر الأساسي في تنظيمه، وهو لا يكلف وقتا ولا جهودا جبارة ولا أموال كبيرة ، لكن ينبغي مراعاتها والاهتمام بالإسلام، من قبل المسؤول، فهو الطريق الأمثل والأسرع لبناء وتقوية الصلات بين الناس .

٤. أن التعددية في الإسلام منظم بضوابط ربانية وأن التفاضل بين بني الإنسان على مدى القرب من الله، وهو مبدأ رباني لا إنساني، بالتالي الكل يعيش بأمان، مطلق غير مقيد، وبحرية تناسبه في كافة المجالات فلا إكراه في الدين، ولا قبع للحقوق، وغير ذلك مما يعد مثاليا بمعنى الكلمة، وهو نتاج الوحي الإلهي الخالق للإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، د. عبدالفتاح الديدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥ .

٢. أحمد سامي الجلبي وجريدة فتى العراق، فواز أنور محمد الشيخ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الاداب جامعة الموصل، ٢٠١١م .

٣. الاسلام والوجه الآخر للفكر الغربي، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .

٤. الاصابة في تمييز الصحابة أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٥. الإنسان العربي قديمه وجديده، الدكتور جورج حنا، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٤.

٦. انسانية الاسلام، مارسيل بوازار، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠ .

٧. اولى ملاحم القرن، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة – بيروت، ٢٠٠٢م .

٨. تقريب التهذيب، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد- حلب ، ١٩٨٦م .

٩. تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم- بيروت، ١٩٩٧م.

١٠.تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١ ،٢٠٠٨م .

١١.الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط، جورج سارتون، تعريب د. عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٥٢ .

١٢.الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن وايامه (صحيح البخاري): ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٣.الجوهرة في قواعد العقائد، الشيخ طاهر الجزائري، دار القلم – دمشق، ط١، ٢٠٠٠م .

١٤.حوار في المعمار الكوني، الدكتور عماد الدين خليل، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٥م .

١٥.حوارات مع مسلمين أوروبيين، د. عبد الله الاهدل، دار القلم- الدار الشامية، دمشق- بيروت، ١٩٩٠م .

١٦.الدعوة إلى الاسلام، توماس آرنولد، ترجمة: د. حسن ابراهيم حسن ورفاقه، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط٣، ١٩٧١م.

١٧.دفاع عن الاسلام، لورا فاكليري، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٦م .

١٨.الدين والحضارة الإنسانية، الدكتور محمد البهي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٤ .

١٩.رجال ونساء اسلموا، عرفات العشي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٩٧٣م .

٢٠.رجال ونساء أسلموا، د. عرفات كامل العشي، المكتب المصري الحديث- القاهرة- الاسكندرية، ٢٠٠١م .

٢١.رؤية اسلامية في قضايا معاصرة، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١- ٢٠٠٥م .

٢٢.الرؤية الآن في هموم فلسطين والعالم الاسلامي، د. عماد الدين خليل، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ط١، ٢٠٠١م .

٢٣.ريبورتاج حوار في الهموم الاسلامية: د. عماد الدين خليل، دار الحكمة، لندن، ط١- ٢٠٠٢م .

٢٤.شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، المكتب التجاري- بيروت، ١٩٦٤م .
٢٥.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .
٢٦.الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد سعيد شهوان بحث منشور في المجلة الاردنية في الدراسات الاسلامية، المجلد الثالث، العدد (٢)، ٢٠٠٧م .
٢٧.الطريق الى مكة، ليوبولد فايس، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦م .
٢٨.علماء ومشاهير اسلموا، نايف منير فارس، مكتبة ابن كثير- دار ابن حزم، الكويت -بيروت، ٢٠١٠م.
٢٩.علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ، دار الشواف – الرياض ، ط ٤، ١٩٩٢م.
٣٠.الفكر الغربي دراسة نقدية، انور الجندي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ١٩٨٧.
٣١.في الرؤية الإسلامية، د .عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ٢٠٠٥ م.
٣٢.قالوا عن الاسلام، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير – دمشق، ط١، ٢٠١٠م.
٣٣.قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر- دمشق، ٢٠٠٦م.
٣٤.كتابات على بوابة المستقبل، د. عماد الدين خليل – د. عبد الحليم عويس، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١ ، ٢٠٠٥م .
٣٥.لسان العرب، محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .
٣٦.لم أسلم هؤلاء الأجانب، محمد عثمان عثمان، دار الرضوان- حلب .

٣٧.متابعات اسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة، د. عماد الدين خليل، دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٨.مدارات الفكر الانساني، يسار محمد الدرزي، مكتب الفتى – الموصل، ٢٠٠٩م.
٣٩.مدارات الفكر الانساني، يسار محمد الدرزي، مكتب الفتى– الموصل،٢٠٠٩م .
٤٠.مدخل إلى التاريخ الإسلامي، د. عماد الدين خليل، المركز الثقافي العربي– الدار العربية للعلوم، المغرب– بيروت، ٢٠٠٥ م .
٤١.مذكرات حول واقعة الحادي عشر من ايلول(سبتمبر)، د. عماد الدين خليل، دار الفكر، بيروت– دمشق، ط١– ٢٠٠٣م .
٤٢.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي– بيروت، ١٩٥٥م.
٤٣.معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين –بيروت، ١٩٩٢ م .
٤٤.معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر– بيروت، ط٢، ١٩٩٥.
٤٥.معجم اللغة العربية المعاصرة، د. احمد مختار عمر، (ت: ٢٠٠٣ م) عالم الكتب– القاهرة، ٢٠٠٨ م .
٤٦.مقالات اسلامية، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٤٧.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي – سورية، ط٢ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٤٨.موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، د. عزيزة فوّال، دار الكتب العلمية– بيروت، ٢٠٠٩ م .
٤٩.موسوعة السياسة، د. عبدالوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٧٤ م .

٥٠.موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين- بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
٥١.موسوعة المشاهير، مجدي سيد عبدالعزيز، دار الأمين -القاهرة، ١٩٩٦ م .
٥٢.موسوعة دول العالم حقائق وأرقام، محمد الجابري، مجموعة النيل العربية- القاهرة، ٢٠٠٠م.
٥٣.مؤشرات اسلامية في زمن السرعة، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت ، ط١ ، ١٤٢٩ه - ٢٠٠٨م .
٥٤.نظرة الغرب الى حاضر الاسلام ومستقبله، د. عماد الدين خليل، (د، ت، ط).
٥٥.وجهة الاسلام، كب وآخرون، ترجمة محمد عبدالهادي، المطبعة الاسلامية، القاهرة ، ١٩٣٤م .
٥٦.الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، د. عماد الدين خليل، دار الفكر، دمشق، ط١- ٢٠٠٢م.
٥٧.وعود الاسلام، روجيه كارودي، ترجمة ذوقان قرقوط، الوطن العربي، القاهرة، بيروت- ١٩٨٤م .